

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

مدنية؛ [إِلَّا مِنْ آيَةِ ٣٠ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ٣٦ فَمَكِّيَّةٌ]

وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَقَرَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْتُمْ أَلْفٌ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا
تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

النفل: الغنيمة؛ لأنها من فضل الله - تعالى - وعطائه؛ قال لبيد [من الرمل]:

إِنْ تَقَوَّى رَبَّنَا خَيْرُ نَفْلٍ^(١)

وبإذن الله ريشي وعجل
بيديه الخير ما شاء فعل
ناعم البال ومن شاء أضل

(١) إن تقوى ربنا خير نفل
أحمد الله فلان دله
من هداه سبل الخير اهتدى

للبيد بن ربيعة العامري، شبه الثواب الذي وعده الله عباده على التقوى بالنفل - بالتحريك - وهو ما يعده الإمام المجاهد تحريضاً على اقتحام الحرب فاستعار النفل له على طريق التصريحية وأخبر به عن التقوى لأنها سببه. ويجوز استعارة النفل للتقوى بجامع النفع، وبإذن الله وتسهيله. ريشي: أي بطني، وعجل: أي سرعتي، فحذفت ياء الإضافة للوزن، فلان د: أي لا مثل له، بيديه: أي بقدرته التي هي كالألة في أفعاله تعالى كاليدين لأفعالنا. ويحتمل أنه شبه خزائنه سبحانه باليد فيها شيء، لسهولة تصرفه فيما فيها واختصاصه به، فالباء بمعنى في. وتثنية اليد للمبالغة في التشبيه. ولا مانع من جعله ترشيحاً للاستعارة على الوجهين. «ما شاء فعل» أي ما أراه فعله، وبين ذلك بقوله: «من هداه طرق الخير اهتدى» حتماً حال كونه طيب الشأن. ومن شاء إضلاله أضله حتماً، أي تركه ونفسه ومنعه لطفه، حتى يضل حال كونه كاسف البال أي حزين القلب في العاقبة، فهي حال منتظرة «أو سعى الحال والشأن، وهذا محذوف معلوم من المقابلة بما قبله.

ننظر ديوانه (١٣٩)، تأويل المشكل (١٣٠)، مجاز القرآن (١/٢٤٠)، الطبري (١٣/٣٦٦)، =

والنفل ما ينقله الغازي، أي: يعطاه زائداً على سهمه من المغنم، وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب: من قتل قتيلاً فله سلبه، أو قال لسرية: ما أصبتم فهو لكم، أو فلکم نصفه أو ربعه، ولا يخمس النفل، ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه، وعند الشافعي - رحمه الله - في أحد قوليهِ: لا يلزم، ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين في غنائم بدر، وفي قسمتها، فسألوا رسول الله - ﷺ - كيف تقسم، ولمن الحكم في قسمتها؟ أَللمهاجرين أم للأَنْصار؟ أم لهم جميعاً؟ فقيل له: قل لهم: هي لرسول الله - ﷺ - (٦٢٣) وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم، وقيل: شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينقله، فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين، فلما يسر الله لهم الفتح، اختلفوا فيما بينهم، وتنازَعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات: كنا رداءً لكم، وفئة تتحازون إليها إن انهزمت (٦٢٤)، وقال لرسول الله - ﷺ -: المغنم قليل، والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك؛ فنزلت، وعن سعد بن أبي وقاص: قتل أخي عمير يوم بدر، فقتلت به سعيد بن العاص^(١)، وأخذت سيفه فأعجبني / ٢٦٨، فجتت به إلى رسول

٦٢٣ - أخرجه ابن جبان في صحيحه (١٩٣/١١ - ١٩٤) رقم (٤٨٥٥)، والحاكم في المستدرک (٢/ ١٣٥)، وأحمد مختصراً (٣١٨/٥ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٢ - ٣٢٣) والبيهقي (٢٩٢/٦)، والطبري في تفسيره (١٧٢/٦) رقم (١٥٦٦٦ - ١٥٦٦٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٩٢/٣).

قال الحافظ: أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن جبان، والحاكم من حديث أبي أمامة عن عبادة بن الصامت. قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدنا معه بدرا. فالتقى الناس. فهزم الله العدو. فذكر الحديث في اختلافهم في قسمة الغنائم. قال: فنزلت: ويسألونك عن الأنفال - الآية. قسمها النبي ﷺ بين المسلمين. انتهى.

٦٢٤ - أخرجه أبو داود (٧٧/٣): كتاب الجهاد: باب في النفل، حديث (٢٧٣٧ - ٢٧٣٨ - ٢٧٣٩)، والثَّسَّانِي فِي التَّفْسِيرِ (٥١٥/١) حديث (٢١٧)، وابن جبان (٤٩٠/١١) رقم (٥٠٩٣)، والحاكم (١٣١/٢ - ١٣٢)، والطبري في تفسيره (١٧١/٦ - ١٧٢) رقم (١٥٦٦٢ - ١٥٦٦٣ - ١٥٦٦٤ - ١٥٦٦٥)، والبيهقي (٢٩١/٦ - ٢٩٢)، وفي «دلائل النبوة»: (١٣٥/٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٩٣/٣).

قال الحافظ: أخرجه أبو داود، والثَّسَّانِي، وابن جبان، والحاكم من رواية داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى مكان كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا. فتسارع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات - الحديث» قلت: وأما قوله: «حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين» فليس في هذا الحديث. انتهى.

= القرطبي (٣٦١/٧)، لسان العرب (نفل)، معجم مقاييس اللغة (٤٦٤/٢)، تاج العروس (نفل)، الدر المصون (٣٩٢/٣).

(١) قوله فقتلت به سعيد بن العاص في حواشي البيضاوي: أنه العاص بن سعيد (ع).

الله - ﷺ - فقلت: إن الله قد شفى صدري من المشركين، فهب لي هذا السيف، فقال: ليس هذا لي ولا لك، اطرحه في القبض^(١) فطرحته وبني ما لا يعلمه إلا الله - تعالى - من قتل أخي، وأخذ سلمي، فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله - ﷺ - وقد أنزلت سورة الأنفال، فقال: «يَا سَعْدُ، إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي فَأَذْهَبْ فَخُذْهُ» (٦٢٥)، وعن عبادة بن الصامت: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فتزعه الله من أيدينا، فجعله لرسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - فقسمه بين المسلمين على السواء، وكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين (٦٢٦)، وقرأ ابن محيصن: «يسألونك عن النفل»، بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وإدغام نون عن في اللام، وقرأ ابن مسعود: «يسألونك الأنفال»، أي: يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال.

فإن قلت: ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾؟

قلت: معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله، يأمر الله بقسمتها، على ما تقتضيه حكمته، ويمثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوضاً إلى رأي أحد، والمراد: أن الذي اقتضته حكمة الله، وأمر به رسوله: أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات، فيقاسموهم على السوية، ولا يستأثروا بما شرط لهم؛ فإنهم إن فعلوا، لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في الاختلاف والتخاصم، وكونوا متحدين متآخين في الله، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

٦٢٥ - أخرجه أحمد (١/١٧٨ - ١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦)، والحاكم في المستدرک (٢/١٣٢)، والبيهقي في سننه (٦/٢٩١)، والطبري في تفسيره (٦/١٧٢ - ١٧٣) رقم (١٥٦٦٨ - ١٥٦٦٩ - ١٥٦٧٠ - ١٥٦٧١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٩٢).

وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/٩) رقم (٤٨٩) إلى الواحدي في أسباب النزول، وإلى الحازمي في كتابه التناسخ والمنسوخ، وإلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو شيبة، وأبو عبيد في الأموال: وسعيد بن منصور؛ كلهم قال: حدثنا أبو معاوية عن الشيباني عن محمد بن عبيد بن أبي عون عنه قال أبو عبيد: كذا يقول: سعيد بن العاص - والصواب العاص بن سعيد. وفي روايتهم: فقلت سعيد بن العاص لم يقولوا به. انتهى.

٦٢٦ - أخرجه الحاكم في مستدرکه (٢/١٣٦)، وأحمد (٥/٣٢٢)، والطبري في تفسيره (٦/١٧٢) رقم (١٥٦٦٧).

قال الحافظ: أخرجه أحمد، وإسحاق، والطبري من طريق ابن إسحاق عن عبد الرحمن عن الحارث عن سليمان بن مكحول عن أبي أمامة عنه به. انتهى.

(١) قوله: «في القبض» القبض - كسب -: المال المقبوض (ع).

بَيْنَكُمْ ﴿: وتأسوا، وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم، وعن عطاء: كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال: اقسموا غنائمكم بالعدل، فقالوا: قد أكلنا وأنفقنا، فقال: ليرد بعضكم على بعض.

فإن قلت: ما حقيقة قوله: (ذات بينكم)؟

قلت: أحوال بينكم، يعني: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق؛ كقوله: (بذات الصدور)، وهي مضمراتها، لما كانت الأحوال ملايسة للبين قيل لها: ذات البين؛ كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب، وقد جعل التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، من لوازم الإيمان وموجباته؛ ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها، ومعنى قوله: ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم كاملي الإيمان، واللام في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: إشارة إليهم، أي: إنما الكاملو الإيمان من صفتهم كيت وكيت؛ والدليل عليه قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾. ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فزعت، وعن أم الدرداء: الوجل في القلب كاحتراق السعفة^(١)، أما/ ٢٦٨ ب تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قالت: فادع الله؛ فإن الدعاء يذهب، يعني: فزعت لذكرك؛ استعظماً له، وتهبياً من جلاله، وعزّة سلطانه، وبطشه بالعصاة، وعقابه، وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه، وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهجم بمعضية فيقال له: اتق الله فينزع، وقرىء: «وجلّت»، بالفتح، وهي لغة نحو: «وبق»، في: «وبق»^(٢)، وفي قراءة عبد الله: «فرقت»، ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾؛ ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة في نفس؛ لأن تظاهر الأدلة، أقوى للمدلول عليه، وأثبت لقدمه، وقد حمل على زيادة العمل، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «الإيمان سبع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (٦٢٧). وعن عمر بن عبد

٦٢٧ - أخرجه البخاري (٧٥/١): كتاب الإيمان: باب أمور الإيمان، حديث (٩)، ومسلم (١/٢٧٧) - ٢٧٨ - النووي): كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسول الله ﷺ رسولاً فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصي الكبائر، حديث (٥٧ - ٣٥/٥٨)، وأبو داود (٢١٩/٤): كتاب السنّة: باب في رد الإرجاء، حديث (٤٦٧٦)، والترمذي (١٠/٥): كتاب الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، حديث (٢٦١٤)، والنسائي (٨/١١٠): كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شُعب الإيمان، وابن ماجه (٢٢/١). المقدمة: باب من =

(١) قوله: «كاحتراق السعفة» أي غصن النخلة، كما في الصحاح (ع).
(٢) قوله: «نحو وبق في وبق... إلخ» وبق: أي هلك. وفرقت: خافت (ع).

العزیز - رضي الله عنه - : «إن للإيمان سنناً، وفرائض، وشرائع، فمن استكملها، استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها، لم يستكمل الإيمان»، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ : ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم، لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، جمع بين أعمال القلوب من الخشية، والإخلاص، والتوكل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة، ﴿حَقًّا﴾ : صفة للمصدر المحذوف، أي: أولئك هم المؤمنون إيماناً حقاً؛ أو هو مصدر مؤكد للجمله التي هي: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ كقولك: هو عبد الله حقاً، أي: حق ذلك حقاً، وعن الحسن أن رجلاً سأله: مؤمن أنت؟ قال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والجنة، والنار، والبعث، والحساب، فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، فوالله، لا أدري أمنهم أنا أم لا، وعن الثوري: من زعم أنه مؤمن بالله حقاً، ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة، فقد آمن بنصف الآية، وهذا إلزام منه، يعني: كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً، فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً، وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان، وكان أبو حنيفة - رضي الله عنه - ممن لا يستثني فيه، وحكى عنه أنه قال لقتادة: لم تستثني في إيمانك؟ قال: اتباعاً لإبراهيم - عليه السلام - في قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فقال له: هلا اقتديت به في قوله: ﴿أَوْلَمْ تُوْمِن قَالِ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]؟ ﴿دَرَجَاتٍ﴾: شرف، وكرامة، وعلو منزلة، ﴿وَمَغْفِرَةٍ﴾: وتجاوز لسيئاتهم، ﴿وَرِزْقٍ كَرِيمٍ﴾: نعيم الجنة، يعني: لهم منافع حسنة، دائمة على سبيل التعظيم، وهذا معنى الثواب.

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكٰرِهُونَ ﴾ ﴿٥﴾

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾: فيه وجهان^(١)، أحدهما: أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر

 = الإيمان، حديث (٥٧)، وأحمد (٤١٤/٢)، وابن جبان في صحيحه (٣٨٤/١) رقم (١٦٦).
 قال الحافظ: أخرجه مسلم وأصحاب السنن، وابن جبان برواية أبي صالح عن أبي هريرة. وهو في البخاري باختصار. انتهى.

(١) قال محمود: «في «كما» وجهان، أحدهما: أن يرتفع محل الكاف... إلخ» قال أحمد: وكان جدي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير - رحمه الله - يذكر في معنى الآية وجهاً أوجه من هذين، وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالأنفال، وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإنابة والجزاء، بإخراجه من بيته مطيعاً لله تعالى سامعاً لأمره راضياً بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك في الطاعة، فشبّه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية، فكما بلغت طاعته الغاية في نوع الطاعات، فكذلك بلغت إنابة الله له الغاية في جنس المثوبات. وجماع هذا المعنى هو المشار إليه =

مبتدأ محذوف تقديره، هذه الحال كحال إخراجك، يعني: أن حالهم في كراهة ما رأيت من تفيل الغزاة، مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب / ٢٦٩أ.

والثاني: أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ﴾، أي: الأنفال استقرت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون، و﴿مَنْ بَيْتِكَ﴾: يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها؛ لأنها مهاجرة ومسكنه، فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه، ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: إخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه، ﴿وَإِنَّ قَرِيبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾: في موضع الحال، أي: أخرجك في حال كراهتهم؛ وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة^(١)، معها أربعون راكباً، منهم: أبو سفيان، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله - ﷺ - فأخبر المسلمين، فأعجبهم تلقي العير؛ لكثرة الخير، وقلة القوم، فلما خرجوا، بلغ أهل مكة خبر خروجهم، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة، النجاء، النجاء على كل صعب وذلول، عيركم أموالكم، إن أصابها محمد، لن تفلحوا بعدها أبداً، وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا، فقالت لأخيها: إني رأيت عجباً، رأيت كأن ملكاً نزل من السماء، فأخذ صخرة من الجبل، ثم حلق بها، فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة، فحدثت بها العباس، فقال أبو جهل: ما يرضى رجالهم أن يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير، في المثل السائر: لا في العير، ولا في النفير، فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله، لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور، ونشرب الخمر، ونقيم القينات، والمعازف بيدر، فيتسامع جميع العرب بمخرجنا، وإن محمداً لم يصب العير، وإنا قد أعضضناه^(٢)، فمضى بهم إلى بدر - وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة - فنزل جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير، وإما قريشاً، فاستشار النبي

= بقوله عليه الصلاة والسلام «الأجر على قدر النصب» ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير، والله الموفق.

(١) هذه القصة منتزعة من سيرة ابن هشام إلا قوله: «إن في أهل العير عمرو بن هشام فإن عمرو بن هشام هو أبو جهل ولم يكن في العير، وإنما كان في النفير وأخرجه الطبري من قول ابن إسحاق، وبعضه عن ابن عباس وعن عروة وعن السدي بتقديم وتأخير وزيادة ونقص وفي مغازي الواقدي عن محمود بن ليبد بعضه. وعن سعيد بن المسيب بعضه.

(٢) قوله: «وإنا قد أعضضناه» في الصحاح: أعضضته الشيء فعضه. وفي الحديث «فأعضوه بهن أبيه» ويقال: أعضضته سيفي، أي ضربته به. وأعض القوم. أكلت إبلهم العضم، وهو بالضم علف الأمصار، وبالكسر الشوك الصغير (ع).

- ﷺ - أصحابه، وقال: ما تقولون، إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول، فالعير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو، فتغير وجه رسول الله - ﷺ -: ثم ردّد عليهم، فقال: «إِنَّ الْعَيْرَ قَدْ مَضَتْ عَلَيَّ سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَهَذَا أَبُو جَهْلٍ قَدْ أَقْبَلَ»، فقالوا: يا رسول الله، عليك بالعير، ودع العدو، فقام عند غضب النبي - ﷺ - أبو بكر، وعمر - رضي الله عنهما - فأحسنا، ثم قام سعد بن عباد، فقال: انظر أمرك فامض، فوالله، لو سرت إلى عدن أبيين^(١)، ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله، امض لما أمرك الله! / ٢٦٩ب فإننا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ما دامت عين منا نظرف، فضحك رسول الله - ﷺ - ثم قال: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ» وَهُوَ يُرِيدُ الْأَنْصَارَ - لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه آبائنا ونساءنا، فكان النبي - ﷺ - يتخوف ألا تكون الأنصار لا ترى^(٢) عليهم نصرته إلا على عدوّ دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ، فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أَجَلٌ»، قال: قد آمننا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبير عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، ففرح رسول الله - ﷺ - وبسطه قول سعد، ثم قال: «سِيرُوا عَلَيَّ بَرَكَةَ اللَّهِ وَأَبْشُرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ، لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظَرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ» (٦٢٨)، وروي أنه قيل لرسول الله - ﷺ - حين فرغ من بدر: عليك بالعير، ليس دونها شيء، فناداه العباس، وهو في وثاقه: لا يصلح، فقال له النبي - ﷺ - «لِمَ؟» قال: لأنّ الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك (٦٢٩)، وكانت الكراهة من بعضهم

٦٢٨ - أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/٢٧١ - ٢٧٢) رقم (٧٢٨)، والطبري في تفسيره (٦/١٨٤ - ١٨٥) رقم (١٥٧٣٢ - ١٥٧٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٠١ - ٣٠٢).
٦٢٩ - أخرجه الثرمذي (٥/٢٦٩): كتاب تفسير القرآن: باب: ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨٠)، =

(١) قوله: «إلى عدن أبيين» في الصحاح: أبيين اسم رجل نسب إليه عدن، فقيل: عدن أبيين (ع).
(٢) قوله: «يتخوف أن لا تكون الأنصار لا ترى» لعله «أن تكون» أو لعله «الأنصار ترى» وبالجملة فأحد الحرفين يعني عن الآخر (ع).

لقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكٰرِهُونَ﴾ .

﴿يُجٰدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسٰقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٦)

والحق الذي جادلوا فيه رسول الله - ﷺ -: تلقي النفير؛ لإيثارهم عليه تلقي العير، ﴿بَعْدَمَا بَيَّنَّ﴾: بعد إعلام رسول الله - ﷺ - بأنهم ينصرون؛ وجدالهم: قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد ونأهب؟ وذلك لكراحتهم القتال، ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم، وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة، بحال من يعتل إلى القتل^(١)، ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن، وهو مشاهد لأسبابه، ناظر إليها لا يشك فيها، وقيل: كان خوفهم، لقلة العدد، وأنهم كانوا رجالة، وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان .

﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّٰفِئَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧)

﴿إِذْ﴾: منصوب بإضمار اذكر؛ و﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾: بدل من إحدى الطائفتين، والطائفتان: العير، والنفير، ﴿عَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ﴾: العير؛ لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم، والشوكة: الحدة، مستعارة/ ٢٧٠ من واحدة الشوك، ويقال: شوك القنا لشباها^(٢)، ومنها قولهم: شائك السلاح، أي: تتمنون أن تكون لكم العير، لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة، ولا تريدون الطائفة الأخرى، ﴿أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾: أن يشبته ويعليه ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من أسرهم، وقتلهم، وطرحهم في قليب بدر، والدابر الآخر: فاعل من دبر، إذا أدبر، ومنه: دابرة الطائر، وقطع الدابر: عبارة عن الاستئصال، يعني: أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفاسف الأمور^(٣)، وألأ تلقوا ما يرزؤكم

= وعبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٥٥).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٠٨).

قال الحافظ: أخرجه الترمذي وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبخاري وابن جبان والحاكم من رواية إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - انتهى.

- (١) قوله: «بحال من يعتل إلى القتل» أي يجذب جذباً عنيفاً. أفاده الصحاح.
- (٢) قوله: «شوك القنا لشباها» شبه كل شيء: حد طرفه، والجمع شبا وشبوات، كذا في الصحاح. فشباها جمع مضاف لضمير القنا (ع).
- (٣) قال محمود: «يعني أنكم تريدون العاجلة وسفاسف الأمور... إلخ» قال أحمد: والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ذكر الإرادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة، كأنه قيل: وتودون =

في أبدانكم وأحوالكم^(١)، والله - عز وجل - يريد معالي الأمور، وما يرجع إلى عمارة الدين، ونصرة الحق، وعلو الكلمة، والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين؛ ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة، وكسر قوتهم بضعفكم، وغلب كثرتهم بقلنتكم، وأعزكم وأذلهم، وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها، وقرئ: «بكلمته»، على التوحيد.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨)

فإن قلت: بم يتعلق قوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: ليحق الحق، ويبطل الباطل فعل ذلك، ما فعله إلا لهما، وهو إثبات الإسلام وإظهاره، وإبطال الكفر ومحقه.

فإن قلت: أليس هذا تكريراً؟

قلت: لا؛ لأن المعنيين متباينان؛ وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم، ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم، ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض، ويجب أن يقدر المحذوف متأخراً؛ حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى، وقيل: قد تعلق بيقطع.

﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (٩)

فإن قلت: بم يتعلق: ﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ﴾؟

قلت: هو بدل من: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ﴾، وقيل: بقوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨]، واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا يد من القتال، طفقوا يدعون الله ويقولون: أي ربنا، انصرتنا على عدوك، يا غياث المستغيثين، أغثنا، وعن عمر- رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلثمائة، فاستقبل القبلة، ومد يديه يدعو: «اللَّهُمَّ، أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ، لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ» - فما زال كذلك حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر - رضي الله عنه - فألقاه على منكبه، والتزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما

= أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الإطلاق، وإرادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة، فبين الكلامين عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد. وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين: إطلاق، وتقييد. والله أعلم.

(١) قوله: «وأحوالكم» لعله وأموالكم (ع).

وعدك (٦٣٠) ﴿إِنِّي مُؤَدِّمُكُمْ﴾: أصله: بأني ممدكم، فحذف الجار، وسلط عليه استجاب فنصب محله، وعن أبي عمرو أنه قرأ: (إني ممدكم): بالكسر، على إرادة القول، أو على إجراء استجاب مجرى، (قال)؛ لأن الاستجابة من القول.

فإن قلت: هل قاتلت الملائكة يوم بدر؟

قلت: اختلف فيه، فقيل: نزل جبريل في / ٢٧٠ ب يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة، وفيها أبو بكر، وميكائيل في خمسمائة على اليسرة، وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال، عليهم ثياب بيض، وعمائم بيض، وقد أرخوا أذنانها بين أكتافهم، فقالت، وقيل: قاتلت يوم بدر، ولم تقاتل يوم الأحزاب، ويوم حنين، وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع، ولا نرى شخصاً؟ قال: من الملائكة، فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم، وروي أنّ رجلاً من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين، إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه، فنظر إلى المشرك قد خزّ مستلقياً وشقّ وجهه، فحدث الأنصاري رسول الله ﷺ - فقال: «صَدَقْتَ، ذَاكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ» (٦٣١) وعن أبي داود المازني: تبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر، فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي (٦٣٢) وقيل: لم يقاتلوا؛ وإنما كانوا يكترون السواد، ويشتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإنّ جبريل - عليه السلام - أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة، وقرىء: (مردّفين): بكسر الدال وفتحها، من قولك: ردفة إذا تبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢]، بمعنى: ردفكم، وأردفته إياه: إذا أتبعته، ويقال: أردفته؛ كقولك: أتبعته، إذا جئت بعده، فلا يخلو المكسور الدال من أن

٦٣٠ - أخرجه مسلم (٣٢٧/٦): كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث (١٧٦٣/٥٨)، والترمذي (٢٦٩/٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/٦) رقم (١٥٧٤٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٠٨/٣).

قال الحافظ:

أخرجه مسلم من رواية ابن عباس عن عمر - رضي الله عنه. انتهى.

٦٣١ - ينظر الحديث السابق.

قال الحافظ: هذا طرف من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - في الذي قبله. انتهى.

٦٣٢ - أخرجه ابن هشام في سيرته (٢٩٧/٢). رقم (٧٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٦/٣).

قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في المغازي: حدثني أبي عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني - فذكره؛ ومن طريقه أخرجه إسحاق والطبري وغيرهما. انتهى.

يكون بمعنى متبعين، أو متبعين، فإن كان بمعنى: متبعين^(١)، فلا يخلو من أن يكون بمعنى: متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين بعضهم لبعض، أو بمعنى: متبعين إياهم المؤمنين، أي: يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم، أو متبعين لهم يشيعونهم، ويقدمونهم بين أيديهم، وهم على ساقاتهم؛ ليكونوا على أعينهم وحفظهم، أو بمعنى: متبعين أنفسهم ملائكة آخرين، أو متبعين غيرهم من الملائكة؛ ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿بَلِّغْهُ أَلْفَ مِائَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿بِحَسْبِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ومن قرأ: (مردفين): بالفتح، فهو بمعنى: متبعين أو متبعين، وقرئ: «مردفين»، بكسر الراء، وضمها وتشديد الدال، وأصله «مرتدفين»، أي: مترادفين أو متبعين، من ارتدفه، فأدغمت تاء الافتعال في الدال، فالتقى ساكنان، فحرّكت الراء بالكسر على الأصل، أو على إتباع الدال، وبالضم على إتباع الميم، وعن السدي: «بالآف من الملائكة»، على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران.

فإن قلت: فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد، ولم يفسر المرادفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين، والمرادفين بارتدافهم غيرهم؟ قلت: بأن المراد بالآلف من قاتل منهم، أو الوجوه منهم الذين من سواهم/ ١٢٧١ أتباع لهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

فإن قلت: لإلام يرجع الضمير في: ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنِّي مُبَدِّئُكُمْ﴾؛ لأن المعنى: فاستجاب لكم بإمدادكم.

فإن قلت: ففيمن قرأ بالكسر؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنِّي مُبَدِّئُكُمْ﴾؛ لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول، ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه مبدكم، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: إلا بشارة لكم بالنصر، كالكينة لبني إسرائيل، يعني: أنكم استغثتم، وتضرعتم لقلبتكم وذلتكم، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر، وتسكيناً منكم، وربطاً على قلوبكم، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يريد: ولا تحسبوا النصر من الملائكة؛ فإن الناصر: هو الله، لكم وللملائكة، أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله.

(١) قوله: «فإن كان بمعنى متبعين» يقرأ هذا بالتسكين، ولم يذكر مقابله وهو ما كان بمعنى متبعين بالتشديد (ع).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ
رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (١١)

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾: بدل ثان من (اذ يعدكم)، أو منصوب بالنصر، أو بما في: ﴿مَنْ عِنْدِ
اللَّهِ﴾، من معنى الفعل، أو بما جعله الله، أو بإضمار اذكر، وقرىء: «يغشيكُم» بالتخفيف
والتشديد^(١)، ونصب «النعاس»، والضمير لله - عز وجل - و﴿أَمَنَةً﴾: مفعول له.

فإن قلت: أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعللة واحداً؟

قلت: بلى، ولكن لما كان معنى «يغشاكم النعاس»، تنعسون، انتصب أمانة على أن
النعاس والأمانة لهم، والمعنى: إذ تنعسون أمانة بمعنى أماناً، أي: لأمنكم، و﴿مِنَهُ﴾: صفة
لها، أي: أمانة حاصلة لكم من الله، عز وجل.

فإن قلت: فعلى غير هذه القراءة^(٢)؟

قلت: يجوز أن تكون الأمانة بمعنى: الإيمان، أي: ينعسكم إيماناً منه، أو على
يغشيكُم النعاس فتنعسون أماناً.

فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب على أن الأمانة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم؟

أي: يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي، وهو
لأصحاب النعاس على الحقيقة، أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل
ذلك الوقت المخوف ألا يقدم على غشيانكم، وإنما غشيكُم أمانة حاصلة من الله لولاها لم
يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل؟

(١) قال محمود: «وقرىء (اذ يغشيكُم) بالتخفيف والتشديد... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا النظر يجري
عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ اللَّيْلَ حَوْرًا وَطَمَعًا﴾ لأن فاعل الإراءة هو الله عز وجل،
وفاعل الخوف والطمع هم، وقد انتصبا مفعولاً لهما فالجواب: أنه لما كان الله تعالى إذا أراهم
البرق رأوه، كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطعماً، فهذا
مثل آية الأنفال، فإن المفعول في المعنى فاعل. وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة. وقد جرى
القلم بتعجيلها ههنا، وذلك أن لقائل أن يقول: فاعل يغشى النعاس إياهم هو الله تعالى، وهو فاعل
الأمانة أيضاً وخالقها وحيثئذ يتحد فاعل الفعل والعللة يرتفع السؤال ويزول الإشكال على قواعد السنة
التي تقتضي نسبة أفعال الخلق إلى الله تعالى على أنه خالقها ومبدعها، ولمورد السؤال أن يقول
المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفاً بالعللة كما هو متصف بالفعل، والباري عز وجل. إن كان خالق
الأمانة للعبد وكان بها أماناً فالعبد هو الفاعل اللغوي وإن كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة،
وحيثئذ يفتقر السؤال إلى الجواب السالف والله الموفق.

(٢) عاد كلامه: قال: «فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك... إلخ» قال أحمد: وجه حسن
بشرط الأدب في إسقاط لفظة التخييل، وقد تقدمت له أمثالها.

قلت: لا تبعد فصاحة القرآن عن احتمالها، وله فيه نظائر، وقد ألم به مَنْ قال [من الوافر]:

يَهَابُ النَّوْمُ أَنْ يَغْشَى عُيُونًا تَهَابُكَ فَهوَ نَفَارٌ شَرُودٌ^(١)

وقرىء: (أمنة): بسكون الميم، ونظير: «أمن أمنة» «حيي حياة»، ونحو: «أمن أمنة»، «رحم رحمة»، والمعنى: أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم، فلما طامن الله قلوبهم، وأمنهم، رقدوا، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: النعاس في القتال: أمنة من الله، وفي الصلاة: وسوسة من الشيطان (٦٣٣)، ﴿وَيَزِيلُ﴾: قرىء بالتخفيف والثقل، وقرأ الشعبي: «ما لي يطهركم به»: قال ابن جنى: «ما» موصولة وصلتها حرف الجر بما جره؛ فكانه قال: ما للطهور، و﴿رَبِّزَ الشَّيْطَانُ﴾: وسوسته إليهم، وتخوفه / ٢٧١ ب إياهم من العطش، وقيل: الجنابة؛ لأنها من تخيله، وقرىء: «رجس الشيطان»؛ وذلك أن إبليس تمثل لهم، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء؛ ونزل المسلمون في كتيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء، وناموا فاحتلم أكثرهم، فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق، وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة، وقد عطشتم، ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا، وساقوا بقيتكم إلى مكة، فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا؛ فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - المطر؛ فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي، واتخذ رسول الله - ﷺ - وأصحابه الحياض على عدوة الوادي، وسقوا الركاب، واغتسلوا

٦٣٣ - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٩٩/٢) رقم (٤٢١٩)، وفي تفسيره (٢/٢٥٦)، والطبري في تفسيره (٦/١٩٢) رقم (١٥٧٧١)، والطبراني في معجمه (٩/٣٣٣) رقم (٩٤٥١ - ٩٤٥٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/١٥) رقم (٤٩٧) إلى ابن أبي شيبه في مصنفه في أول الجهاد وإلى الثعلبي في تفسيره، عن ابن مسعود وليس عن عبد الله بن عباس؛ كما وهم الزمخشري.

قال الحافظ: لم أجده عن ابن عباس. والظاهر أنه تحرف، وإنما هو ابن مسعود؛ كذا ذكره الثعلبي. وأخرجه عبد الرزاق والطبري. وكذا ابن أبي شيبه والطبراني كلهم من حديث ابن مسعود موقوفاً. انتهى.

(١) للزمخشري، يقول: يخاف النوم أن يغزو عيوناً تخافك فالنوم كثير النفار والشroud، شبهه بحيوان أن يصح منه الخوف على طريق المكنية. وقوله فهو نفار شرود: تفريع للترشيح. ونسبة الخوف للعيون مجاز عقلي.

ينظر: الألوسي ٩/١٧٦، حاشية الشهاب ٤/٢٥٨، الإنصاف ٢/١٥٩، البحر المحيط ٤/٤٦٢، الدر المصون ٣/٤٠٢.

وتوضؤوا، وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام، وزالت وسوسة الشيطان، وطابت النفوس (٦٣٤)، والضمير في (به): للماء، ويجوز أن يكون للربط؛ لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة، ثبتت القدم في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِذْ يُوحَىٰ﴾: يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، وأن ينتصب بيثبت، ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾: مفعول يوحى، وقرئ: «إني»، بالكسر على إرادة القول، أو على إجراء يوحى مجرى يقول؛ كقوله: ﴿أَنِّي مُبَدِّئُكُمْ﴾، والمعنى: أني معينكم على التثبيت فثبتوهم، وقوله: ﴿سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا﴾: يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا﴾، ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم، واجتماعهما غاية النصر، ويجوز أن يكون غير تفسير، وأن يراد بالتثبيت أن يخضروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم، وتصح عزائمهم، ونياتهم في القتال، وأن يظهر ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة، وقيل: كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول: إني سمعت المشركين يقولون: والله، لئن حملوا علينا لننكشفن، ويمشي بين الصفيين فيقول: أبشروا؛ فإن الله ناصركم؛ لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه، وقرئ: ﴿الرعب﴾: بالثقليل، ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح؛ لأنها مفاصل، فكان إيقاع الضرب فيها حزا وتطييراً للرؤس، وقيل: أراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، يعني: ضرب الهام، قال [من الوافر]:

..... وَأَضْرِبْ هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ (١)
[ومن البسيط]:

عَشِيئُهُ وَهُوَ فِي جَاوَاءَ بَاسِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرُّؤْسِ فَأَنْفَلَقَا (٢)

٦٣٤ - أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٤/٦) رقم (١٥٧٨٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣١١). وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/١٥ - ١٦) إلى البيهقي، وأبي نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة»، وإلى الثعلبي وابن مردويه في تفسيريهما.

(١) عجز بيت لعمرو بن الإطناية وصدده:

..... وإحامي على المكروه نفسي

ينظر: الشذور (٣٤٥)، معجم الشعراء (٨) والعمدة لابن رشيق ٢٩/١ واللسان (شبح) والدر المصون ٣/٤٠٤.

(٢) وفارس في غمار الموت منغمس إذا نألى على مكروهة صدقا =

والبنان: الأصابع، يريد الأطراف، والمعنى: فاضربوا المقاتل والشوي؛ لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معاً، ويجوز أن يكون قوله: (سألقي)، إلى قوله: (كل بنان)، عقيب/ ٢٧٢ قوله: ﴿ثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تلقيناً للملائكة ما يشنونهم به، كأنه قال: قولوا لهم قولي: ﴿سَأَلَقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَرْعَبَ﴾، أو كأنهم قالوا: كيف نبتهم؟ فقيل: قولوا لهم قولي: (سألقي)، فالضاربون على هذا هم المؤمنون.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾
 ﴿ذَلِكَ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل، ومحل الرفع على الإبتداء و﴿بِأَنَّهُمْ﴾: خبره، أي: ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاققتهم، والمشاقة مشتقة من الشق؛ لأن كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه، وسئلت في المنام عن اشتقاق المعادة، فقلت: لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة، كما قيل: المخاصمة والمشاقة؛ لأن هذا في خصم، أي: في جانب، وذاك في خصم، وهذا في شق، وذاك في شق، والكاف في (ذلك)؛ لخطاب الرسول - عليه السلام - أو لخطاب كل واحد، وفي ﴿ذَلِكَ﴾ للكفرة، على طريقة الالتفات، ومحل (ذلكم): الرفع على ذلكم العقاب، أو العقاب ذلكم، ﴿فَذُوقُوا﴾: ويجوز أن يكون نصباً على: عليكم ذلكم فذوقوه؛ كقولك: زيداً فاضربه، ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾: عطف على ذلكم في وجهيه، أو نصب على أن الواو بمعنى: مع، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في

= غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

لبعا بن قيس الكناني والغمر الماء الكثير فشب الموت بسيل عظيم على سبيل الكناية. والغمار والانغماس فيه تخيل. ويجوز أن تستعار الغمار لأهوال الموت على طريق التصريحية. ويحتمل أن تستعار لجيش ذلك الفارس على طريق التصريحية أيضاً. وأضاف للموت لأنه ينشأ عنها والانغماس ترشيح. «إذا تألى» أي حلف «على مكروهة» أي حرب «صدق» أي بر في يمينه «غشيته» ألحقت به والحال أنه «في جأواء» أي كنية عظيمة اسودت أو اخضرت بكثرة السلاح والدروع، من الجوة مثل الحوة، أو من الجوة مثل الحمرة، وهي هي بشرط أن يرهقها سواد. وقيل السواد يرهقه خضرة لصدأ دروعها «باسلة» أي مائعة عابسة. ويجوز أن الجأواء الدرع الصدئة. وعضباً: مفعول غشيته، أي سيفاً قاطعاً «أصاب» أي طلب ونال «سواء» أي وسط الرأس «فانفلق» الرأس أو وسطه، مدح قرنه مع ظفره به، ليدل على بلوغه غاية الشجاعة.

ينظر الخزانة ٥٥٦/٦، والبحر المحيط ٤٦٤/٤، وابن يعيش ٨/١، وشرح الحماسة ٦٠/١، والدر المصون ٤٠٤/٣.

الآخرة، فوضع الظاهر موضع الضمير، وقرأ الحسن: «وإن للكافرين» بالكسر.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ ۗ أَلَا تَبَارَكُ ۙ وَنَّ يُؤَلِّمُ
يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ۖ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ ۗ فَفَدَّ بَكَاءُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَأَةٌ
جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَصِيرُ ۝﴾

﴿زَحَفًا﴾: حال من الذين كفروا، والزحف: الجيش الدهم^(١)، الذي يرى لكشوته كأنه يزحف، أي: يدب دبيباً، من زحف الصبي إذا دب على إسته قليلاً قليلاً، سمي بالمصدر والجمع زحوف، والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال، وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا، فضلاً أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، أو حال من الفريقين، أي: إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم، أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين، حين تولوا مدبرين، وهم زحف من الزحوف اثني عشر ألفاً، وتقدمة^(٢) نهى لهم عن الفرار يومئذ، وفي قوله: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ﴾: أمانة عليه، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ﴾: هو الكرّ بعد الفرّ، يخيل عدوّه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو باب من خدع الحرب ومكايدها، ﴿أَوْ مُتَحَرِّزًا﴾: أو منحاذاً، ﴿إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾: إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفتنة التي هو فيها، وعن ابن عمر - رضي الله عنه - : خرجت سرية وأنا فيهم ففروا، فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت، فقلت: يا رسول الله، نحن الفرّارون، فقال: «بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَارُونَ»^(٣) وَأَنَا فَتَنُكُمْ» (٦٣٥) وانهزم رجل من القادسية، فأتى المدينة إلى عمر - رضي

٦٣٥ - أخرجه أبو داود (٤٦/٣): كتاب الجهاد: باب في التولي يوم الزحف (٢٦٤٧)، والترمذي (٥/٢١٥): كتاب الجهاد: باب ما جاء في الفرار من الزحف، حديث (١٧١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٢)، وأحمد (٧٠/٢ - ٨٦ - ١٠٠ - ١١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٦/٩ - ٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٥٧/٩) والحميدي في مسنده (٣٠٢/٢) حديث (٦٨٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٥/٣)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب المفرد وأبي داود والترمذي وحسنه، وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر. قال الحافظ: أخرجه أبو داود، والترمذي، والبخاري في الأدب المفرد من رواية يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر - رضي الله عنهما. وكذا أخرجه أحمد، وإسحاق: وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبزار في مسانيدهم. قال الترمذي: لا نعرفه إلا من رواية يزيد بن أبي زياد. انتهى.

- (١) قوله: «الجيش الدهم» هو العدد الكثير، والدهمة: السواد، كذا في الصحاح (ع).
- (٢) قوله «وتقدمة نهى لهم» لعله عطف على المعنى، أي: إشعاراً وتقدمة نهى (ع).
- (٣) قوله: «بل أنتم العكارون» من عكر إذا عطف وكر. أفاده الصحاح.

الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين، هلكت، فررت من الزحف، فقال عمر - رضي الله عنه -: أنا فنتك (٦٣٦)؛ وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: إن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر:

فإن قلت: بم انتصب: (إلا متحرفاً)؟

قلت: على الحال، وإلا لغو، أو على الاستثناء من المولين، أي: ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً^(١)، وقرأ الحسن: (ذبره): بالسكون ووزن متحيز متفعل لا متفعل؛ لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوز/ ٢٧٢ب.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

لما كسروا أهل مكة، وقتلوا، وأسروا، أقبلوا على التفاخر، فكان القائل يقول: قتلت وأسرت، ولما طلعت قريش قال رسول الله - ﷺ -: «هذه قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِخَيْلٍ بِهَا

٦٣٦ - أخرجه ابن أبي شيبة من طريق منصور عن إبراهيم قال: فر رجل... فذكره.
كما قال الحافظ في «تخريج الكشاف» انتهى.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «لا يريد بقوله: «وإلا» «لغو» أنها زائدة، بل يريد أن العامل وهو «يُولَهُمْ» وَصَلَ لما بعدها، كقولهم - في «لا» من نحو: «جئتُ بلا زاد» - إنها لَغَوٌ. وفي الحقيقة هي استثناء من حال محذوفة، والتقدير: ومن يُولَهُمْ ملتبساً بأية حالة إلا في حال كذا، وإن لم تُقَدَّر حال عامة محذوفة لم يصح دخول «إلا»؛ لأن الشرط عندهم واجب، والواجب حكمه ألا تدخل «إلا» فيه، لا في المفعول، ولا في غيره من الفضلات، لأنه استثناء مفرغ، والمفرغ لا يكون في الواجب، إنما يكون مع النفي، أو النهي، أو المؤول بهما، فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك يؤول». قلت: قوله: «لا في المفعول، ولا في غيره» من الفضلات لا حاجة إليه، لأن الاستثناء المفرغ لا يدخل في الإيجاب مطلقاً، سواء كان ما بعد «إلا» فضلة أم عمدة، فذكر الفضلة والمفعول يورهم جوازه في غيرهما». وقال ابن عطية: «وأما الاستثناء فهو من المُولِينَ الذين تتضمنهم «مَنْ». فجعل نصبه على الاستثناء». وقال جماعة: «إن الاستثناء من أنواع التولي». وقد رُدَّ هذا بأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون التركيب: إلا تحيزاً أو تحرفاً. والتَحْيِيزُ والتَحْوِيزُ الانضمام، وَتَحْوِيزَاتِ الْحَيْئَةِ: انطَوَتْ. وَحَزَّتْ الشَّيْءُ: ضَمَّتْهُ. وَالتَحْوِيزَةُ: ما يضم الأشياء. ووزن «مُتَحْيِيزٌ»: «مُتَفَعِّلٌ»، والأصل مُتَحْوِيزٌ، فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء بعدها، ك «مَيْت»، ولا يجوز أن يكون «مُتَفَعِّلًا»، لأنه لو كان كذا لكان «متحوزاً». فأما مُتَحْوِيزٌ ف «مُتَفَعِّلٌ». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ولما جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام: هذه قريش جاءت... إلخ» قال أحمد رحمه الله: أوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة والمجاز. ألا تراك تقول للبليد: ليس بحمار، ويصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجوز إنه حمار، فإذا ثبت لك أن من مميزات المجاز =

وَفَخْرَهَا يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي»، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ: خَذْ قَبْضَةً مِنْ تَرَابِ فَرَامِهِمْ بِهَا، فَقَالَ - لِمَا التَّقَى الْجَمْعَانُ - لِعَلِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَعْطِنِي قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الْوَادِي، فَرَمَيْ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا شَغَلَ بَعِينِيهِ، فَانْهَزَمُوا وَرَدَّفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ (٦٣٧)، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، وَالْفَاءُ: جَوَابُ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: إِنْ افْتَخَرْتُمْ بِقَتْلِهِمْ فَأَنْتُمْ لَمْ تَقْتُلُوهُمْ^(١)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْقَى الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ،

٦٣٧ - أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ (٢٧٨/٢ - ٢٧٩ - ٢٨٠) رَقْمَ (٧٣٤ وَ ٧٣٧)، وَابِيهَيْقِي (٣/١١٠) فِي دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ، وَالطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ (٦/٢٠٣) رَقْمَ (١٥٨٣٤) وَذَكَرَهُ السُّبُوْطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْتَرِ (٣/٣١٧)، وَعَزَاهُ الزُّبَيْدِيُّ فِي تَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَثَارِ (٢/١٩) رَقْمَ (٥٠٠) إِلَى الْوَاقِدِيِّ فِي الْمَغَازِي، وَاللَّيْثُ بْنُ مَرْدَوَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ.
قَالَ الْحَافِظُ:

قَالَ الطَّبْرِيُّ لَمْ يَذْكَرْ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ الرَّمِيَّةَ كَانَتْ بِيَدِهِ، ثُمَّ حَدِيثُ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ. قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا فَذَكَرَ الْقِصَّةَ، وَهُوَ تَعْقِيبُ غَيْرِ مُرْضٍ، فَقَدَّ رَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي الْمَغَازِي عَنْ ابْنِ أَبِي الزُّهْرِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: «لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيشًا فَذَكَرَ نَحْوَهُ إِلَى قَوْلِهِ: مَا وَعَدْتَنِي» وَرَوَى الطَّبْرِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: «لَمَّا وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا قَالَ: فَرَزَعُوا أَنَّهُ قَالَ: هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ جَاءَتْ بِخَيْلَانِهَا وَفَخْرَهَا تَجَادَلُ وَتَكْذِبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي. فَلَمَّا أَقْبَلُوا اسْتَقْتَلُوا فَحَثَا فِي وَجُوهِهِمْ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى»، وَرَوَى الطَّبْرِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: «رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ يَوْمَ بَدْرٍ»، فَقَالَ:

يَا رَبِّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعَصَابَةُ فَلَنْ تَعْبُدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا. فَأَمَرَ جَبْرِيلَ فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التَّرَابِ فَرَمَى بِهَا فِي وَجُوهِهِمْ. فَمَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَحَدٌ إِلَّا أَصَابَ عَيْنِيهِ وَمَنْخَرَهُ وَفَمَهُ تَرَابًا. فَوَلَّوْا مَدْبَرِينَ»، وَعِنْدَهُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَسْبَاطِ عَنِ السُّدِيِّ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ يَوْمَ بَدْرٍ: أَعْطِنِي حَصْبَاءَ مِنَ الْأَرْضِ. فَتَوَلَّاهُ حَصَاً عَلَيْهِ تَرَابًا، فَرَمَى بِهِ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنِهِ مِنْ ذَلِكَ التَّرَابِ، ثُمَّ رَدَّفَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ - الْآيَةَ﴾. وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي الْمَغَازِي أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فِي قِصَّةِ بَدْرِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ كِفَاً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَرَمَاهُمْ بِهَا، وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ. فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْتَلَأَ وَجْهَهُ وَعَيْنَاهُ فَانْهَزَمَ أَعْدَاءُ اللَّهِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ. وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ نَحْوَهُ دُونَ مَا فِي آخِرِهِ. انْتَهَى.

= صدق سلبه بخلاف الحقيقة، فافهم أن هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالرد، وذلك أن الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم، ولا محمل لذلك إلا أن ثبوته لهم مجاز، والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى، فأثبت لهم مجازاً، ونفاه عنهم حقيقة. وإياك أن تعرج على تنكيس الزمخشري في تأويل الآية، فإنه نظر أعوج، وباطل مخليج، والحق أبلج، والله الموفق بكرمه.

(١) قال السمعين الحلبي: قال الشيخ: «وليس جواباً، بل لربط الكلام ببعضه ببعض». انتهى. الدر المصون.

و شاء النصر والظفر، وقوى قلوبكم، وأذهب عنها الفزع والجزع، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: أنت يا محمد، ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَ اللهُ رَحْمَةً﴾ يعني: أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة؛ لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله؛ حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، فأثبت الرمية لرسول الله - ﷺ - لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله - عز وجل - فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنها لم توجد من الرسول - عليه الصلاة والسلام - أصلاً، وقرىء: «ولكن الله قتلهم، ولكن الله رمى»، بتخفيف «لكن»، ورفع ما بعده، ﴿وَالْيُسْبُلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: وليعطيهم، ﴿بَلَاءَ حَسَنًا﴾: عطاء جميلاً؛ قال زهير [من الطويل]:

..... فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو^(١)

والمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل، وما فعله إلا لذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم.

﴿ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٨)

﴿ذَلِكَمُ﴾: إشارة إلى البلاء الحسن، ومحل الرفع، أي: الغرض ذلكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾: معطوف على ذلكم، يعني: أن الغرض إبلاء المؤمنين، وتوهين كيد الكافرين، وقرىء: «مُوهِنٌ»، بالتشديد، وقرىء على الإضافة، وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال.

﴿إِنْ تَسْتَفِينُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٩)

﴿إِنْ تَسْتَفِينُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم؛ وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم، انصر أقرانا للضيف، وأوصلنا للرحم، وأفكنا للعاني، إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على حق

(١) جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو يقول: كافأ الله بإحسانه إليهما ما فعلاه بكم من الإحسان. وأبلى: مضمن معنى أعطى. يقال: بلاء الله وأبلاه وابتلاه، بمعنى اختبره. والاسم: البلاء. ويجيء بمعنى النعمة وبمعنى النعمة كما هنا. وأعطاهما خير نعمته التي يبلوها الناس ويختبرهم بإعطائها. ينظر ديوانه (١٠٩)، معاني القرآن للزجاج (١٠٢/١)، الطبري (٤٩/٢)، لسان العرب (بلاء)، تهذيب اللغة (٣٩٠/١٥)، مقاييس اللغة (٣٢٢/١٤)، المخصص (١٠٢/٣، ٢٨٢/١٣)، مجمل اللغة (١٦٣/١)، الدر المصون (٢٢٠/١).

فانصرنا، وروي أنهم قالوا: اللهم، انصر أعلى الجندين، وأهدى الفتيتين، وأكرم الحزبين، وروي أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينما كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم، أي: فأهلكه، وقيل: (إن تستفتحوا): خطاب للمؤمنين، ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾: خطاب للكافرين، يعني: وإن تنهوا عن عداوة رسول الله - ﷺ -، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: وأسلم، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا﴾: لمحاربتة، ﴿تَعُدُّوا﴾: لنصرته عليكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: قرىء بالفتح على: ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك/ ٢٧٣، وقرىء بالكسر، وهذه أوجه؛ وبعضها قراءة ابن مسعود: «والله مع المؤمنين»، وقرىء: «ولن يغني عنكم»، بالياء للفصل.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾: قرىء بطرح إحدى التاءين وإدغامها، والضمير في: ﴿عَنَّهُ﴾، لرسول الله - ﷺ - لأن المعنى: وأطيعوا رسول الله؛ كقوله: «الله ورسوله أحق أن يرضوه»، ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾: فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما؛ كقولك: الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان، ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة، أي: ولا تولوا عن هذا الأمر وامثاله وأنتم تسمعونه، أو ولا تولوا عن رسول الله - ﷺ - ولا تخالفوه، ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: تصدقون؛ لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ادعوا السماء، ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ لأنهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين، والمعنى: أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة، فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها؛ كان تصديقكم كلا تصديق، وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن، ثم قال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: إن شر من يدب على وجه الأرض، أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرها، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ﴾: في هؤلاء الصم البكم، ﴿خَيْرًا﴾ أي: انتفاعاً باللفظ، ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾: للطف بهم^(١)، حتى يسمعوا

(١) قال محمود: «يعني: ولو علم الله أن اللطف ينفع في هؤلاء... إلخ» قال أحمد رحمه الله: إطلاق القول بأن الله تعالى يلفظ بالعبد فلا ينفع لطفه مردود، فإن اللطف هو إسداء الجميل والإلطاف به، واسمه اللطيف من ذلك، فإذا أسدى الجميل إلى العبد بأن أسمعه إسماع لطيف به، فتلقت الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا: أن يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الإصغاء إليه والاهتمام به، ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأي الفاسد في خلق الأفعال، لأن مقتضاها أن العبد =

سماع المصدقين، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾، عنه، يعني: ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف؛ فلذلك منهم أطفاه، أو: ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك، وكذبوا ولم يستقيموا، وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير، وسويد بن حرملة: كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، لا نسمعه ولا نجيبه، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللواء، وعن ابن جريج: هم المنافقون، وعن الحسن: أهل الكتاب.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: وحد الضمير كما وحده فيما قبله؛ لأن استجابة رسول الله - ﷺ - كاستجابته، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد، والمراد بالاستجابة، الطاعة، والامتثال، وبالذعوة: البعث والتحريض، وروى أبو هريرة أن النبي - ﷺ - مر على باب أبي بن كعب، فناداه وهو في الصلاة، فعجل في صلاته ثم جاء فقال: «مَا مَنَّكَ عَنِّ إِجَابَتِي؟ قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ تُخَبِّرْ فِيمَا أُوجِي إِلَيَّ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، قَالَ: لَا جَرَمَ لَا تَدْعُونِي إِلَّا أُجِبْتُكَ (٦٣٨)، وفي قولان، أحدهما: إن هذا مما اختص به

٦٣٨ - أخرجه الترمذي (١٥٥/٥): كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، حديث (٢٨٧٥)، والثساني (١٣٩/٢): كتاب الإفتتاح: باب تأويل قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَّأْنَتَكَ سَبَّأَ يَنَ الْمَنَاقِ وَالْفَرَزْدَكَ الْعَلِيمَ﴾ وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢١/٢) رقم (٥٠١) إلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي والثساني دون قوله: لا جرم إلى آخره وأخرجه ابن مردويه من الوجه الذي أخرجه منه الترمذي، وفي آخره قال: «إني لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت أصلي»، وفي الباب عن أبي سعيد بن الحكم، أخرجه البخاري بغير هذا السياق واقتصر عليه الطيبي. انتهى.

= هو الذي يخلق لنفسه قبول الحق والهداية وحسن الاستماع والإصغاء، وأن الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك، بل الذي ينسب إلى الله تعالى إرادة الهداية من جميع الخلق، ولا يلزم حصول مراده على العموم - تعالى الله عما يقولون - ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل الزمخشري أيضاً، فإن حاصله: ولو علم الله فيهم خيراً للطف بهم، ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف، فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم، وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى، وذلك محال عقلاً، فلا يرتفع الإشكال إلا بتقدير الإسماع الواقع جواباً أولاً، خلاف الأسماع الواقع شرطاً ثانياً، كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور. وأقرب وجه في اختلاف الإسماعين: أن يراد بالأول: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يخلق لهم به الهداية والقبول، ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء، بل إسماعاً مجرداً من ذلك، لتولوا وهم معرضون. فهذا هو الوجه في تأويل الآية، والله الموفق.

والثاني: أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير، وإذا وقع مثله للمصلي، فله أن يقطع صلاته، ﴿لِمَا يُؤَيِّدُكُمْ﴾: من علوم الديانات والشرائع؛ لأن العلم حياة، كما أن الجهل موت؛ ولبعضهم [من المنسرح]:

لَا تُفْجِبَنَّ الْجَهْلُ حُلَّتَهُ فَذَلِكَ مَيْتٌ / ٢٧٣ ب وَتَوْبُهُ كَفْرٌ^(١)

وقبل لمجاهدة الكفار؛ لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم؛ كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقيل للشهادة؛ لقوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩].
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يعني: أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها^(٢)، وهي التمكن من إخلاص القلب، ومعالجة أدوائه وعلله وردة سليماً كما يريد الله، فاغتنموا هذه الفرصة، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهِو تَشْتَرُونَ﴾: فيشيبكم على حسب سلامة القلوب، وإخلاص الطاعة، وقيل: معناه: إن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه، ويغير نيته ومقاصده، ويبدله بالخوف أمناً، وبالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً، وبالنسيان ذكراً، وما أشبه ذلك مما هو جائر على الله تعالى، فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب^(٣) من أفعال القلوب فلا، والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر، وبين الكفر إذا آمن، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وقيل: معناه: أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله، لا يخفى عليه شيء من ضمائره، فكأنه

(١) للزمخشري، نهي للجهول عن العجب والخيلاء بشيابه، لأنه كالميت في عدم النفع وعدم الإدراك، ويلزم من ذلك أن توبه الذي يعجب به كالكفن، حيث اشتمل على جسم لا إدراك فيه ولا نفع. والميت هنا بالتخفيف.

ينظر البحر المحيط (٥٠٣/٤)، اللسان (روح)، التنبيه والإيضاح (٢٤٠/١)، مجمل النغة (٢/٤٤١)، وللسلبك بن السلعة من ديوانه ص (٥٠) والشعر والشعراء ص (٣٧٣)، جمهرة الأمثال (١٣٠/١)، عيون الأخبار ٢٧١/١، ومجمع ١١/٢، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٤٦٤/٢). الدر المصون (٤٤٦/٣).

(٢) قال محمود: «معناه أنه يمته فتفوته الفرصة التي هو واجدها... إلخ» قال أحمد رحمه الله: نعم، هذا عقد أهل السنة الذي استعار لهم لقب المجبرة، وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها إلى الواحد الحق خالق الخلق، فإن كان ذلك ظلماً فأنا بريء من الطائفة المتسبية بالعدلية، إصراراً على هذا الرأي الباطل والمعتقد الماحل، والله الموفق.

(٣) قوله: «فأما ما يثاب العبد عليه... إلخ» المسألة هنا من فروع مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية، فعند المعتزلة أن المرید الخالق لها هو العبد، وإذا صح تكليفه لظهور اختياره. وعند أهل السنة أن المرید الخالق لها هو الله تعالى. وإنما صح تكليف العبد لما له فيها من الكسب، وهو اختيار بعضها على بعض بشهادة الوجدان، خلافاً للمجبرة القائلين بالجبر المحض، ومحلل التوحيد.

بينه وبين قلبه، وقرىء: «بين المرء» بتشديد الراء، ووجهه أنه قد حذف الهمزة، وألقى حركتها على الراء، كالعقب، ثم نوى الوقف على لغة من يقول: مررت بعمر.

﴿وَأْتَفَوْا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴿١٥﴾

﴿فِتْنَةً﴾: ذنباً، قيل: هو إقرار المنكر بين أظهرهم؛ وقيل: افتراق الكلمة، وقيل: (فتنة): عذاباً، وقوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾: لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر، أو نهياً بعد أمر، أو صفة لفتنة، فإذا كان جواباً، فالمعنى: إن إصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً^(١)، فعمهم الله بالعذاب، وإذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل: واحذروا ذنباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول؛ كأنه قيل: واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبن؛ ونظيره قوله [من الرجز]:

حَتَّىٰ إِذَا جَنَّ الظَّلَامَ وَأَخْتَلَطَ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَابَ قَطَّ^(٢)

(١) قوله نهوا عن المنكر تعذيراً. التعذير في الأمر: التقصير فيه اهـ صحاح (ع).

(٢) بتنا بحسان ومعزاة يسط يلحس أذنيه وحينئذ يمتخط

ما زلت أسمى فيهمو وأختبط حتى إذا جن الظلام واختلط

جاءوا بمذق هل رأيت الذيب قط؟

لأحمد الرجاز. وقيل: إنه للعجاج، يصف رجلاً بالبخل. وبات بالقوم: إذا نزل بهم ليلاً. والأط: صوت الجوف. والمعز - محركة ومسكنة - والمعيز، والأمعوز، والمعزى: خلاف الضأن من الغنم. فهو اسم جمع، وتأنيت المعزى لغة. والاختباط: تطلب المعروف من غير اهداء. يقول: نزلنا عند حسان ليلاً، والحال أن معزاه جائعة هزيلة، فالأطيط كناية عن الأول، والامتخط كناية عن الثاني، ويجوز أن ذلك كناية عن كثرة المعز عنده، ولبخله قراهم بالمذق بعد مدة كان يمكنه أن يذبح لهم فيها شاة، وهذا أنسب بما بعده، وضمير أذنيه يحتمل عوده على المعزى لأنه مذكور عند الأكثر، ويجوز أنه عائد لحسان، وهو ذم شنيع. وفيهم: أي في حيه. وجن التبت: طال. واللبل: أظلم. والذباب: كثرت أصواته. والظلام: كثر واختلط وتراكم بعضه فوق بعض بحيث لا يتخلله نور. والمذق: المزج. والمراد به لبن مخلوط بماء. ويروى: بمذق - بالكسر - وهو ذلك اللبن. ويروى: جاؤوا بضيق، بمعجمة فمشناة تحتية فذميمة، بمعنى المذق، إلا أنه رقيق، و«هل رأيت» استفهام تقريرى والجملة صفة لمذق، أي مذق مقول فيه ذلك، والمراد تشبيه المذق بالذيب في الكدرة، فكنتي بالاستفهام عن ذلك، لأن من أراد إخطار الشيء بالبال ورسمه في الخيال يستفهم عنه، فكأنه قال له هل رأيت؟ فقال نعم، قال: إن اللبن مثله، لكن حذف هذا كله واستغنى بالاستفهام عنه. وقط: ظرف مبني على الضم، وسكن للوقف.

أي: بمدق مقول فيه هذا القول؛ لأنه سمار فيه لون الورقة^(١) التي هي لون الذئب، ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود: «لتصيين»، على جواب القسم المحذوف، وعن الحسن: نزلت في علي، وعمار، وطلحة، والزبير، وهو يوم الجمل خاصة، قال الزبير: نزلت فينا وقرآناها زماناً، وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها، وعن السدي: نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل، وروي: «أن الزبير كان يساير النبي - ﷺ - يوماً، إذ أقبل علي - رضي الله عنه - فضحك إليه الزبير، فقال رسول الله - ﷺ - : «كَيْفَ حُبُّكَ لِعَلِيِّ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ/ ١٢٧٤، بأبي أنت وأمي، إني أحبه كحبي لوالدي أو أشدَّ حباً، قال: فَكَيْفَ أَنْتَ إِذَا سِزَتْ إِلَيْهِ تُقَاتِلُهُ» (٦٣٩).

فإن قلت: كيف جاز أن يدخل النون المؤكدة في جواب الأمر؟

قلت: لأنَّ فيه معنى النهي، إذا قلت: انزل عن الدابة لا تطرحك؛ فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيين ولا يحطمنكم.

فإن قلت: فما معنى (من) في قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾؟

قلت: التبعض على الوجه الأول؛ والتبيين على الثاني؛ لأنَّ المعنى: لا تصيينكم

٦٣٩ - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤١٤/٦ - ٤١٥).

وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢٢/١) رقم (٥٠٢) إلى ابن أبي شيبة في مسنده. قال المحافظ: لم أجده هكذا، وإنما رواه ابن أبي شيبة من طريق الأسود بن قيس حدثني من رأى الزبير يعقص الخيل فناداه علي: يا أبا عبد الله، فأقبل حتى التقت أعناق دوابهما، فقال له علي: أنشدك الله، أتذكر يوم أتانا رسول الله ﷺ وأنا أناجيك فقال: أتأجيه؟ والله ليقاتلنك وهو لك ظالم قال: فضرب الزبير وجه دابته فانصرف، وروى البيهقي في الدلائل من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلمي عن أبيه قال: «لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض خرج علي فنادى: ادعوا لي الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال علي - رضي الله عنهما - : يا زبير، نشدتك الله، أتذكر يوم مر بنا رسول الله ﷺ ونحن بمكان كذا وكذا فقال: يا زبير، أتحب علياً؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمتي وعلي قريبي؟ قال: أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم؟ قال، بلى، ولكنني نسيت، وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة قال: «لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال: لو كان يعلم أنه على حق ما ولى وذلك أن النبي ﷺ لقيه في سقيفة بني ساعدة فقال: أتجبه يا زبير؟ قال: وما يعني؟ قال: فكيف بك إذا قاتلته». انتهى.

= ينظر: أمالي الزجاجي (٢٣٧)، والمغني ١/٢٤٦، والمقرب ١/٢٢٠، والخزانة ٢/١٠٩، والدرر ١٤٨/٢ والهمع ٢/١١٧، وأوضح المسالك ٣/٣١٠، والأشموني ٣/٦٤، ٢١٩، والعين ٤/٦١، والإنصاف ١/١١٥، والارتشاف ٢/٨٣١، والدر المصون ٣/٤١١.

(١) قوله: «لأنه سمار فيه لون الورقة» قوله: «سمار» هو - بالفتح - لبن رقيق. وتسمير اللبن. ترفيقه بالماء. والورقة: بياض يضرب إلى سواد وإلى خضرة اهـ صحاح (ع).

خاصة على ظلمكم؛ لأن الظلم أقيح منكم من سائر الناس^(١).

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَفَاءَوَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾: نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف، أي: اذكروا وقت كونكم أقلّة أذلة مستضعفين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش، ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ﴾: لأن الناس كانوا جميعاً لهم أعداء منافين مضادين، ﴿فَاءَوَكُمْ﴾: إلى المدينة، ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾: بمظاهرة الأنصار، وبإمداد الملائكة يوم بدر، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من الغنائم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إرادة أن تشكروا هذه النعم، وعن قتادة: كان هذا الحي من العرب أذلّ الناس، وأشقاهم عيشاً، وأعراهم جلدأ، وأبينهم ضللاً، يؤكلون ولا يأكلون، فمكّن الله لهم في البلاد، ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكاً.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

معنى الخون: النقص، كما أن معنى الوفاء التمام، ومنه: تخونه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضدّ الأمانة والوفاء؛ لأنك إذا خنت الرجل في شيء، فقد أدخلت عليه النقصان فيه، وقد استعير فقيلاً: خان الدلو الكرب، وخان المشتار السبب^(٢)؛ لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾، والمعنى: لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه، ورسوله بالأمتثال، و﴿أَمْنَتَكُمْ﴾؛ فيما بينكم بالأمتثال، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تبعة. ذلك ووباله، وقيل: وأنتم تعلمون أنكم تخونون، يعني: أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، وقيل: وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن، وروي أن نبي الله - ﷺ - حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة^(٣)، فسألوا

(١) قوله: «أقيح منكم من سائر الناس»، لعلة منه من سائر الناس (ع).

(٢) قوله: «خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب». قوله: «الكرب» جبل يشد في رأس الدلو. والمشتار مجتني العسل. والسبب: الجبل اه صحاح (ع).

(٣) أخرجه الثعلبي عن الكلبي بغير سند، لكن سنده إليه في أول الكتاب. وقد روى ابن إسحاق في المغازي: حدثنا إسحاق بن يسار عن عبد بن كعب السلمي «أن رسول الله ﷺ حاصرهم - يعني قريظة - خمساً وعشرين ليلة - فذكر القصة بطولها - إلى أن قال: ابعت إنيأ أبأ لبابة بن عبد المنذر فذكر قصة مختصرة. وأخرجها البيهقي في الدلائل من طريق سعيد بن المسيب في قصة طويلة - فذكر نحو ما هنا. وهكذا ذكرها عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك. فربط نفسه بسارية فذكر القصة» وأخرجه الواقدي عن معمر عن =

الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام، فأبى رسول الله - ﷺ - إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحاً لهم؛ لأنّ عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم فقالوا له: ما نرى، هل تنزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه إنه الذبح، قال أبو لبابة فما زالت قدمي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله؛ فنزلت، فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد، رقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً/ ٢٧٤ ب عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تيب عليك فحل نفسك، فقال: لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله - ﷺ - هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده فقال: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أتخلع من مالي، فقال - ﷺ -: يجزيك الثلث أن تصدّق به (٦٤٠)، وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وقيل: (أماناتكم)؛ ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده.

فإن قلت: (وتخونوا): جزم هو أم نصب؟

قلت: يحتمل أن يكون جزماً داخلاً في حكم النهي، وأن يكون نصباً بإضمار «أن»؛ كقوله: ﴿وَتَكُونُوا الْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢]، وقرأ مجاهد: «وتخونوا أمانتكم»، على التوحيد.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فَتَنَّةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

جعل الأموال والأولاد فتنة؛ لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب، أو محنة من الله ليلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدي إليه هممكم، وتزهدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد؛ حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما؛ كقوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ

٦٤٠ - أخرجه ابن هشام في سيرته (٣/٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦) رقم (١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/١٥ - ١٦ - ١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/٤٠٥ - ٤٠٦) رقم (٩٧٤٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/٢٢٠)، رقم (١٥٩٣٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٢٣).

وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/٢٥) إلى الثعلبي في تفسيره، وإلى الواقدي في كتاب المغازي.

= الزهري عن ابن كعب بن مالك مثله.

(تنبيه) تسمية أبي لبابة مروان لم أره إلا من هذه الرواية. ومدة حصار بني قريظة المحفوظ فيها ما قاله ابن إسحاق.

الَّذِينَ وَالْبَنِينَ الَّذِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ذُوبًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦]، وقيل: هي من جملة ما نزل في أبي لبابة، وما فرط منه لأجل ماله وولده.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَفَّوْا أَن تَكْفُرُوا لَكُمْ فَرَقَانًا وَبِكْفَرِكُمْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَبِعْزَتِكُمْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَرَقَانًا﴾: نصراً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه، والإسلام بإعزاز أهله؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم، ويثبت صيبتكم، وأثاركم في أقطار الأرض، من قولهم: (بت أفعل كذا) حتى سطح الفرقان: أي طلع الفجر، أو مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان، وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذْ يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثَبِّرُوا كُفْرَهُمْ أَوْ يُخْرِجُوكَ أَوْ يُقَاتِلُوكَ أَوْ يُقَاتِلُوكَ أَوْ يُقَاتِلُوكَ أَوْ يُقَاتِلُوكَ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ ﴿٤٠﴾﴾

لما فتح الله عليه، ذكره مكر قريش به حين كان بمكة؛ ليشكر نعمة الله - عز وجل - في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم، وما أتاح الله له من حسن العاقبة، والمعنى: واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشاً - لما أسلمت الأنصار وبايعوه - فرقوا أن يتفاقم أمره^(١)، فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ، وقال: أنا شيخ من نجد، ما أنا من تهامة، دخلت مكة فسمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقال أبو البختري: رأيت أن تحبسوه في بيت، وتشذروا وثاقه، وتسدوا بابه غير كوة يلقون إليه طعامه وشرابه منها، وتربصوا به ريب المنون، فقال إبليس: بنس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو: رأيت أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع واسترحتم، فقال إبليس: بنس الرأي، يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل / ٢٧٥ بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً، فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا، فقال الشيخ - لعنه الله -: صدق هذا الفتى، هو أجودكم رأياً، ففرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل - عليه السلام - رسول الله - ﷺ - وأمره ألا يبيت في مضجعه، وأذن الله له في الهجرة، فأمر علياً - رضي الله عنه -

(١) «فرقوا أن يتفاقم أمره» أي خافوا أن يعظم أمره. اهـ صحاح (ع).

فنام في مضجعه، وقال له: «أَتَشِخ بِبُرْدَتِي؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلَصَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكَرَّهُهُ» وباتوا مترصدين، فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه، فأبصروا علياً فبهتوا وخيب الله - عز وجل - سعيهم، واقتصوا أثره، فأبطل الله مكرهم (٦٤١) ﴿لِيُنِيبُوكَ﴾: ليسجنوك، أو يوثقوك، أو يشخنوك بالضرب والجرح، من قولهم: ضربه حتى أنبتوه لا حراك به ولا براح، وفلان مثبت وجعاً، وقرىء: «ليشبتوك»، بالتشديد، وقرأ النخعي: «البيبتوك»، من البيات، وعن ابن عباس: «ليقيدوك»، وهو دليل لمن فسره بالإيثاق، ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾: ويخفون المكائد له، ﴿وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾: ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينِ﴾ أي: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل، ولا يصيب إلا بما هو مستوجب.

﴿وَإِذَا نُنِتَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) وَإِذَا قَالُوا لِلَّهِمْ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ السَّمَاءِ أَوْ أَنْزِلْنَا مِعَادِبَ الْمَاءِ ﴿٣٧﴾ وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ لِلَّهِ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ مِعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾: نفاجة منهم وصلف^(١) تحت الراعدة؛ فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة، وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من

٦٤١ - أخرجه ابن هشام في سيرته (١٠٠/٢ - ١٠١) رقم (٥٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٨٤/٥) رقم (٩٧٤٣)، والطبري في تفسيره (٦/٢٢٦ - ٢٢٧) رقم (١٥٩٧٩ - ١٥٩٨٢ - ١٥٩٨٣)، وذكره السيوطي في تفسيره (٣/٣٢٥ - ٣٢٦). قال الحافظ: القصة أخرجه ابن إسحاق في المغازي: حدثني من لا أنهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: «لما اجتمعت قريش في دار الندوة، وتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ اعترضهم إبليس في هيئة شيخ فذكره مطولاً، وأخرجه الطبري وأبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح. وليس في أوله أن ذلك بسبب الأنصار. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة قال: «لما كثر المسلمون - فذكر معناها. ووصلها الواقدي عن معمر بذكر عائشة قال: وعن ابن أبي خيثمة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس نحوه. انتهى.

(١) قوله: «نفاجة منهم وصلف الخ» «نفاجة» أي تكبر. و«الصلف» مجاوزة الحد كبيراً. و«الراعدة» السحابة. وهذا مثل يضرب للرجل يتوعد ثم لا يقوم به. والقدح المعلي: أحد سهام الميسر يخرج للغالب اه صحاح (ع).

تحذاهم وقرعهم بالعجز، حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه، مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة، وأن يماثتهم واحد، فيتعللوا بامتناع المشيئة، ومع ما علم وظهر ظهور الشمس، من حرصهم على أن يقهروا رسول الله - ﷺ - وتهالكهم على أن يغمروه^(١)، وقيل: قائله النضر بن الحارث المقتول صبياً، حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون: لو شئت لقلت مثل هذا، وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك، وأنه من جملة تلك الأساطير، وهو القائل: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾، وهذا أسلوب من الجحود بليغ، يعني: إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر، ومراده نفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكزه عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق؛ كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقاً، فأمطر علينا حجارة، وقوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق، وقرأ الأعمش: (هو الحق) بالرفع، على أن/ ٢٧٥ هو مبتدأ غير فصل، وهو في القراءة الأولى فصل، ويقال: أمطرت السماء؛ كقولك: أنجمت وأسبلت^(٢)، ومطرت؛ كقولك: هنتت وهنتت، وقد كثرت الإمطار في معنى العذاب.

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾؟ والأمطار لا تكون إلا منها.

قلت: كأنه يريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل، وهي الحجارة المسومة للعذاب، فوضع: (حجارة من السماء): موضع السجيل، كما تقول: صب عليه مسرودة من حديد، تريد درعاً، ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: بنوع آخر من جنس العذاب الأليم، يعني: أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم، فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه، وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله - ﷺ - حين دعاهم إلى الحق: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾، ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له، اللام لتأكيد النفي، والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة؛ لأن عادة الله وقضية حكمته ألا يعذب قوماً عذاب استئصال، ما دام نبيهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم؛ والدليل على هذا الإشعار قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمْ اللَّهُ﴾، وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب، كأنه قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم،

(١) قوله: «على أن يغمروه» يقال للرجل: غمره القوم، إذا علوه شرفاً، كذا في الصحاح (ع).

(٢) قوله: «أنجمت وأسبلت الخ» أنجمت: أي انكشفت نجومها. وأسبلت: أمطرت. وهنتت وهنتت: تتابع مطرها. اهـ صحاح (ع).

وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم ألا يعذبهم، ﴿وَهُمْ يَسْتَفِرُّونَ﴾: في موضع الحال، ومعناه: نفي الاستغفار عنهم، أي: ولو كانوا ممن يؤمن، ويستغفر من الكفر لما عذبهم؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون، ولا يتوقع ذلك منهم، وقيل: معناه: وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله - ﷺ - من المستضعفين، ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعُذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾: وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم، يعني: لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة، وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله - ﷺ - عام الحديبية، وإخراجهم رسول الله - ﷺ - والمؤمنين من الصّد، وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم، فنصدّ من نشاء، وتدخل من نشاء، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾: وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه، ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾: من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً ممن يصحح لأن يلي أمره؛ إنما يستأهل ولايته من كان برّاً تقيّاً، فكيف بالكفرة عبدة الأصنام، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة، / ٢٧٦ أو أراد بالأكثر: الجميع، كما يراد بالقلة: العدم.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾

المكاء: فعال بوزن الشغاء والرخاء^(١)، من مكأ يمكأ إذا صفر، ومنه المكاء، كأنه سمي بذلك؛ لكثرة مكائه، وأصله: الصفة، نحو الوضاء والفراء، وقرئ: «مكأ» بالقصر، ونظيرهما: البكي والبكاء، والتصدية: التصفيق، تفعلت من الصدى أو من صدّ يصدّ^(٢)، ﴿إِذَا قَوْمًا مِّنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] وقرأ الأعمش: «وما كان صلاتهم»، بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه.

فإن قلت: ما وجه هذا الكلام؟

قلت: هو نحو من قوله [من الطويل]:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَذَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحَذَّرَجَةً سُمْراً^(٣)

(١) قوله: «بوزن الشغاء والرخاء» الثغاء: صوت الغنم. والرخاء: صوت الإبل. والمكاء - بالتشديد - طائر وجمعه مكائي اهـ صحاح (ع).

(٢) قوله: «أو من صد يصد» في الصحاح: صد يصد ويصد صديداً: أي ضج (ع).

(٣) «والأدهم» في الأصل الأسود. ثم غلب على الحبة السوداء، ثم سمي به القيد الحديد. «والمحذرج» المفتول: أي ما كنت. أظن أن يكون عطاؤه قيوداً سوداً، أو سياتماً مفتولة سمرأ =

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء، ووضعوا المكاء والتصديّة موضع الصلاة؛ وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عمرة: الرجال والنساء، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله - ﷺ - في صلاته يخلطون عليه، ﴿قَدْ وُفُوا﴾: عذاب القتل والأسر يوم بدر؛ بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قيل: نزلت في المطعمين يوم بدر، كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر، وقيل: قالوا لكل من كان له تجارة في العير: أعينوا بهذا المال على حرب محمد؛ لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر، وقيل: نزلت في أبي سفيان، وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب؛ وأنفق عليهم أربعين أوقية، والأوقية: اثنان وأربعون مثقالاً، ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: تكون عاقبة إنفاقها ندماً وحسرة، فكان ذاتها تصير ندماً وتنقلب حسرة، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: آخر الأمر، وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجلاً قبل ذلك فيرجعون طلقاء^(١)، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: والكافرون منهم، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾؛ لأنّ منهم من أسلم وحسن إسلامه، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾: الفريق الخبيث من الكفار، ﴿مِنَ﴾: الفريق، ﴿الطَّيِّبِ﴾: من المؤمنين، فيجعل الفريق، ﴿الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾: عبارة عن الجمع والضم، حتى يتراكبوا؛ كقوله تعالى: ﴿كَأَدْوًا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٢] يعني:

= حقيقة. أو وصفها بذلك لقبها، كما يصفون الحسن بالأخضر. ويروى «حمرا» فوضع القيود والسياط موضع العطاء، ووضع الشاعر الرجاء موضع الظن، وأطلق العطاء على العقاب مجازاً، وعرض بذلك إلى أنه كان يرجو العطا. ويروى:

أخاف زياداً أن يكون

ينظر ديوانه ٢٧٧/١، والبحر ٩٠/٣، والدر المصون ٢/٢٣٥.

(١) قوله: «فيرجعون طلقاء» في الصحاح «الطليق» الأسير الذي أطلق عنه إيساره وخلى سبيله (ع).

لفرط ازدحامهم، ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة إلى الفريق الخبيث، وقيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله - ﷺ - من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته، (فيركمه): فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به؛ كقوله: ﴿فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُؤُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَرَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]، واللام على هذا متعلقة بقوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]، وعلى الأول/ ٢٧٦ب، وأولئك: إشارة إلى الذين كفروا، وقرئ: «ليميز» على التخفيف.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتٌ

﴿الْأُولَئِكَ﴾

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أبي سفيان وأصحابه، أي: قل لأجلهم هذا القول وهو: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾، ولو كان بمعنى خاطبهم به لقليل: إن تنتهوا يغفر لكم، وهي قراءة ابن مسعود؛ ونحوه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، خاطبوا به غيرهم لأجلهم لسمعوه، أي: إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله - ﷺ - وقتاله بالدخول في الإسلام، ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾: لهم من العداوة، ﴿وَإِنْ يُودُوا﴾: لقتاله، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأُولَئِكَ﴾: منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر، أو: فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا، فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا، وقيل: معناه: أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر، وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي، وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين، ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام -: «الإسلام يُجِبُّ مَا قَبْلَهُ» (٦٤٢) وقالوا: الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط، وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله، وتبقى عليه حقوق الأدميين؛ وبه احتج

٦٤٢ - أخرجه مسلم كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج حديث (١٩٢/ ١٢١). وأحمد (٢٠٥/٤)، وأبو عوانة (٧٠/١) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس عن عمرو بن العاص به.

ولفظ مسلم: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

قال الحافظ: أخرجه مسلم من رواية عبد الرحمن بن أسامة عن عمرو بن العاص في قصة. وفيها هذا لكن بلفظ: «يهدم ما قبله» قال النووي: غلط كثير من الفقهاء فذكره بلفظ: «يجب ما قبله» ويورى: «يحت» بالمهملة والمثناة اهـ. وقد رواه الطبري من هذا الوجه، بلفظ: «إن الإسلام يجب ما كان قبله»، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي من طريق حبيب بن أبي أويس الثقفي حدثني عمرو بن العاص من فيه إلى في قال: «لما جئت أريد الإسلام فذكر القصة. وفيها يا عمرو، إن الإسلام يُجِبُّ ما قبله. والهجرة تُجِبُّ ما كان قبلها»، ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وإسحاق والبيهقي في الدلائل. وأخرجه ابن سعد في خالد بن الوليد من طريق المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: قال خالد بن الوليد... فذكر قصة إسلامه وفيها: «إن الإسلام يُجِبُّ ما كان قبله»، =

أبو حنيفة - رحمه الله - في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة، وقبلها؛ وفسر: ﴿وَإِنْ يُوَدُّوا﴾: بالارتداد، وقرئ: ﴿يُقَفَّرْ لَهُمْ﴾، على أن الضمير لله - عز وجل -.

﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتَنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كُفِّرُوا بِاللَّهِ فَأَنْتَ أَنتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَوْمَ الْمَوْكَلِ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتَنَةً﴾: إلى ألا يوجد فيهم شرك قط، ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كُفِّرُوا بِاللَّهِ﴾: ويضمحل عنهم كل دين باطل، ويبقى فيهم دين الإسلام وحده، ﴿فَأَنْتَ أَنتَهُوا﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿فَأَنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يشيهم على توبتهم وإسلامهم، وقرئ: «تعملون»، بالثاء، فيكون المعنى: فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله، والدعوة إلى دينه، والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، ﴿بَصِيرٌ﴾: يجازيكم عليه أحسن الجزاء، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: ولم ينتهوا، ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ﴾: أي: ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنْتَ السَّبِيلُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾
﴿الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَنَّكُمْ غَنِمْتُمْ﴾ ما: موصولة، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: بيانه، قيل: من شيء حتى الخيط والمخيط، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ﴾: مبتدأ خبره محذوف، تقديره: فحق، أو فواجب أن لله خمسة، وروى الجعفي عن أبي عمرو: «فإن لله» بالكسر؛ وتقويه قراءة النخعي: «فله خمسة»، والمشهورة أكد وأثبت للإيجاب، كأنه قيل: فلا بد من ثبات الخمس فيه، لا سبيل إلى الإخلاف به والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات؛ كقولك: ثابت واجب حق لازم، وما أشبه ذلك، كان أقوى لإيجابه من النص على واحد، وقرئ: خمسة بالسكون.

فإن قلت: كيف قسمة الخمس؟

قلت: عند أبي/ ١٢٧٧ حنيفة - رحمه الله - أنها كانت في عهد رسول الله - ﷺ - على

= وفي ترجمة المغيرة بن شعبة من رواية يعقوب بن عتبة عن المغيرة. فذكر قصة إسلامه. وفيها ذلك. وفي ترجمة هبار بن الأسود من حديث جبير بن مطعم في قصة إسلام هبار. وفيه: «والإسلام يُجِبُّ ما كان قبله»، وفي أسانيد الثلاثة الواقدي. انتهى.

خمسة أسهم: سهم لرسول الله - ﷺ - وسهم لذوي قرباء من بني هاشم وبني المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل، استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة، لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم - رضي الله عنهما - أنهما قالوا لرسول الله - ﷺ - : هؤلاء إخوتك بنو هاشم، لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، رأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال - ﷺ - : «إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ؛ إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلَبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» (٦٤٣) وشبك بين أصابعه، وثلاثة أسهم: لليتامى والمساكين، وابن السبيل، وأما بعد رسول الله - ﷺ - فسمه ساقط بموته، وكذلك سهم ذوي القربى؛ وإنما يعطون لفقرهم، فهم أسوة سائر الفقراء، ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وأما عند الشافعي - رحمه الله - فيقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله - ﷺ - يصرف: إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين: كعذة الغزاة من السلاح والكراع^(١) ونحو ذلك، وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم: يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، والباقي للفرق الثلاث، وعند مالك بن أنس - رحمه الله - : الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام؛ إن رأى قسمة بين هؤلاء، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض، وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم.

فإن قلت: ما معنى ذكر الله - عز وجل - وعطف الرسول وغيره عليه^(٢).

٦٤٣ - أخرجه البخاري (٢٨١/٦): كتاب فرض الخمس، حديث (٣١٤٠)، وطرفاه في (٣٥٠٢، ٤٢٢٩)، وأبو داود (١٤٥/٣): كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى، حديث (٢٩٧٨ - ٢٩٧٩ - ٢٩٨٠)، والثَّانِي (١٣٠/٧): كتاب قسم الفيء، وابن ماجه (٢/٩٦١): كتاب الجهاد: باب قسمة الخمس، حديث (٢٨٨١) وأحمد (٨١/٤ - ٨٣). قال الحافظ: أخرجه أبو داود والثَّانِي وابن ماجه من طريق سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم بتمامه، وهو في الصحيح دون قوله: «لم يفارقوني». انتهى.

- (١) قوله: «من السلاح والكراع» الكراع: هو اسم جمع للخيل اهـ صحاح. (ع)
- (٢) قال محمود: «إن قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه... الخ» قال أحمد: لأن مالكاً رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان أنه لا يصرف فيما سواها، وليس لأن يملكها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض، بل الأمر عنده موكول إلى نظر الإمام فيصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جعلتها قرابته عليه الصلاة والسلام، ولا تحديد عنده في ذلك ألبتة، وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه، وبيان ذلك أن المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان أن الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد، ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديداً، ولكن تنبيهاً على فضلها والتخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الأول، بل هو قار على حاله، كما أن العموم ثابت للملائكة وإن خص جبريل وميكال، بعده، والله تعالى أعلم.

قلت: يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول، لرسول الله - ﷺ - كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْزُقَهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب، وأن يراد بقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ حُسْمَهُ﴾: أن من حق الخمس أن يكون متقرباً به إليه لا غير، ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة، تفضيلاً لها على غيرها؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَزِيرَلٌ وَمِيكَنَلٌ﴾ [البقرة: ٩٨]، فعلى الاحتمال الأول: مذهب الإمامين، وعلى الثاني: ما قال أبو العالية: أنه يقسم على ستة أسهم: سهم لله تعالى، يصرف إلى رتاج الكعبة^(١)، وعنه: كان رسول الله - ﷺ - يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة، وهو سهم الله تعالى، ثم يقسم ما بقي على خمسة (٦٤٤)، وقيل إن سهم الله - تعالى - لبيت المال، وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه كان على ستة أسهم: لله وللرسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض، فأجرى أبو بكر - رضي الله عنه - الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء، وروي أن أبا بكر رضي الله عنه - منع بني هاشم الخمس، وقال: إنما لكم أن يعطى فقيركم، ويزوج أيمكم، ويخدم من لا خادم له منكم، فأما الغني منكم: فهو بمنزلة ابن سبيل، غني لا يعطى من الصدقة شيئاً؛ ولا يتيم/ ٢٧٧ ب موسر، وعن زيد بن علي - رضي الله عنه -: كذلك قال، ليس لنا أن نبني منه قصوراً، ولا أن نركب منه البراذين، وقيل: الخمس كله للقرابة، وعن علي - رضي الله عنه - أنه قيل له: إن الله تعالى قال: ﴿وَأَلَيْتُمْ آلَ النَّكَبِينَ﴾ فقال: أيتامنا ومساكيننا، وعن الحسن - رضي الله عنه - في سهم رسول الله - ﷺ -: أنه لولي الأمر من بعده، وعن الكلبي - رضي الله عنه -: أن الآية

٦٤٤ - أخرجه أبو داود في كتابه المراسيل (ص ٢٧٥) رقم (٣٧٤)، باب ما جاء في فسخة الخمس. وذكر المزني في «تهذيب الكمال» (٢١/٥٣١ - ٥٣٢) هذا الحديث في ترجمة عمر بن هشام القبطي، فقال: روي عن: عبد الله بن داود الخريبي، عن أبي جعفر الرازي... ثم قال روي عنه: أبو داود في المراسيل هذا الحديث الواحد، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/٢٥٠) رقم (١٦١١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٣٦).

قال الحافظ: أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية. قال: «كان النبي ﷺ إذا أتى بالغنمة قسمها خمسة أقسام، ثم يقبض بيده قبضة من الخمس أجمع ثم يقول: هذه للكعبة. ثم يقول: لا تجعلوا لله نصيباً فإن لله الآخرة والدنيا، ثم يأخذ سهماً لنفسه وسهماً لذي القربى وسهماً لليتامى، وسهماً للمساكين، وسهماً لابن السبيل، أخرجه أبو عبيدة في الأموال، والطبري من هذا الوجه. انتهى.

(١) قوله: «يصرف إلى رتاج الكعبة» في الصحاح «الرتج» بالتحريك: الباب العظيم، وكذلك الرتاج. ومنه: رتاج الكعبة (ع).

نزلت ببدر. وقال الواقدي: كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾؟

قلت: بمحذوف يدل عليه: (واعلموا)، المعنى: إن كنتم آمنتم بالله، فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة، وليس المراد بالعلم المجرد، ولكنه العلم المضمن بالعمل، والطاعة لأمر الله تعالى؛ لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر، ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا﴾: معطوف على (بالله)، أي: إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل، ﴿عَلَّ عِبْدَنَا﴾: وقرئ: «عبدنا»؛ كقوله: ﴿وَعَبَدَ الظُّلُمَاتِ﴾ [المائدة: ٦٠]، بضمين، ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، و﴿الْجَمْعَانِ﴾: الفريقان من المسلمين والكافرين، والمراد: ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ، ﴿وَاللَّهُ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يقدر على أن ينصر القليل على الكثير، والدليل على العزيز، كما فعل بكم ذلك اليوم.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٤)

﴿إذ﴾: بدل من يوم الفرقان، والعدوة: شط الوادي بالكسر والضم والفتح، وقرئ: «بهن» وبالعدية، على قلب الواو ياء؛ لأن بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما في الصبية، والدنيا والقصوى: تأنيث الأدنى والأقصى.

فإن قلت: كلتاها «فعلى» من بنات الواو، فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو؟

قلت: القياس هو قلب الواو ياء كالعليا، وأما القصوى: فكالقود في مجيئه على الأصل، وقد جاء القصيا، إلا أن استعمال القصوى أكثر، كما كثر استعمال: «استصوب» مع مجيء: «استصاب» و«أغيلت» مع: «أغالت»^(١)، والعدوة الدنيا: مما يلي المدينة، والقصوى مما يلي مكة، ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل، وأسفل: نصب على الظرف، معناه: مكاناً أسفل من مكانكم، وهو مرفوع المحل؛ لأنه خبر للمبتدأ.

(١) قوله: «وأغيلت مع أغالت» أغيلت: أي أرضعت وهو موطوءة. أفاده الصحاح (ع).

فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين، «وأن العير كانت أسفل منهم»^(١)؟

قلت: الفائدة فيه: الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته، وتكامل عدته، وتمهد أسباب الغلبة له، وضعف شأن المسلمين والنيابث أمرهم^(٢)، وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنفاً من الله سبحانه، ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته؛ وذلك أن العدو القصوى التي / ٢٧٨ أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار^(٣) تسوخ فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم، فكانت الحماية دونها، تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نيابتهم؛ ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم، لبيعهم الذب عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل جهيدهم في القتال، وألاً يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه، فيجمع ذلك قلوبهم، ويضبط همهم، ويوطن نفوسهم، على ألا يرحوا مواطنهم، ولا يخلوا مراكزهم، ويذلوا منتهى نجدتهم، وقصارى شدتهم، وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً، من إعزاز دينه، وإعلاء كلمته؛ حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة، حتى خرجوا ليأخذوا الغير راغبين في الخروج، وشخص بقريش^(٤) مرغوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله - ﷺ - لأموالهم، حتى نفروا ليمنعوا غيرهم، وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا، وهؤلاء بالعدوة القصوى، ووراءهم العير يحامون عليها، حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾: أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال، لخالف بعضكم بعضاً فنبطكم فلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله - ﷺ - والمسلمين، فلم يتفق لكم من التلاقي في ما وفقه الله وسبب له، ﴿لَيَقْضَى﴾: متعلق بمحذوف، أي: ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل، وهو نصر أوليائه، وقهر أعدائه دبر ذلك، وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ﴾: بدل منه، واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام، أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بيته، لا عن مخالفة شبهة، حتى لا تبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام من أسلم - أيضاً - عن يقين، وعلم بأنه دين

- (١) قال محمود: «إن قلت ما فائدة ذكر مركز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم... الخ» قال أحمد: وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري وتنقيح عن أسرار الكتاب العزيز.
- (٢) قوله: «والنيابث أمرهم» أي اختلاط أمرهم اهـ صحاح (ع).
- (٣) قوله: «وهي خبار» أي رخوة ذات جحرة. اهـ صحاح (ع).
- (٤) قوله: «وشخص بقريش» يقال للرجل إذا ورد عليه أمر ألقته: شخص به. اهـ صحاح (ع).

الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه، مغالطاً لها، وقرىء: «ليهلك»، بفتح اللام، و﴿حي﴾، بإظهار التضعيف، ﴿لَسَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾: يعلم كيف يدبر أموركم، ويسوي مصالحكم، أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه، وبإيمان من آمن وثوابه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدْنَاكَ كَثِيرًا لَفَاشَلْنَاكَ وَكَأَنَّا لَمُنزَعَتَةٌ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يُدَاتِ الضُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إذ يريكهم الله﴾: نصبه بإضمار اذكر، أو هو بدل ثان من يوم الفرقان، أو متعلق بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك، ﴿فِي مَنَامِكَ﴾: في رؤياك، وذلك أن الله - عز وجل - أراه إيأهم في رؤياه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه فكان تبيئاً لهم، وتشجيعاً على عدوهم، وعن الحسن / ٢٧٨ ب: في منامك: في عينك؛ لأنها مكان النوم، كما قيل للقطيفة^(١): المنامة؛ لأنه ينام فيها، وهذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته، ﴿لَمَشَلْنَاكَ﴾: لجبنتم وهبتم الإقدام، ﴿وَأَلَمَّنَزَعَتُنَّ﴾: في الرأي؛ وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم، وترجحتم بين الثبات والفرار، ﴿وَلَا كِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: عصم، وأنعم بالسلامة من الفشل، والتنازع، والاختلاف، ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ يُدَاتِ الضُّدُورِ﴾: يعلم ما سيكون فيها من الجراءة، والجبن، والصبر، والجزع.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَاتٍ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾: الضميران مفعولان، يعني: وإذ يبصركم إيأهم، و﴿قَلِيلًا﴾: نصب على الحال؛ وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤية رسول الله - ﷺ - وليعابنوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويشتوا، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفاً (٦٤٥)، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ﴾: حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور.

٦٤٥ - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٩/٦) رقم (١٦١٧١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/٣٤٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/٣١ - ٣٢) إلى إسحاق بن راهويه في مسنده، وإلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ: قال إسحاق في مسنده: أخبرنا عمرو بن محمد، يحيى بن آدم قال: حدثنا إسرائيل =

(١) قوله: «للقطيفة» هي دثار مخمل. اهـ. صحاح (ع).

فإن قلت: الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر، فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم؟

قلت: قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيها بعده ليجتروا عليهم؛ قلة مبالاة بهم، ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا، ويهابوا، وتفل شوكتهم^(١) حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم؛ وذلك قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهَآ رَأَى الْآمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣] ولئلا يستعدوا لهم، وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولاً وكثرتهم آخرأ.

فإن قلت: بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً^(٢)؟

قلت: بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير، كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين، وكان بين يديه ديك واحد فقال: مالي لا أرى هذين الديكين أربعة؟

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥)
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْرِعُوا فَلَنْفَشُلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦)

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتهم جماعة من الكفار، وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء اسم للقتال غالب، ﴿فَاثْبُتُوا﴾: لقتالهم ولا تفروا، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: في مواطن الحرب مستظهرين بذكره، مستنصرين به، داعين له على عدوكم: اللهم، اخذلهم، اللهم، اقطع دابرهم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لعلكم تظفرون بمرادكم من النصر والثوية، وفيه إشعار بأن على العبد ألا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون همًا، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك، وإن كانت متوزعة عن غيره، وناهيك بما

= عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. فذكره، ومن هذا الوجه أخرجه الطبري وابن أبي حاتم. انتهى.

(١) قوله: «وتفل شوكتهم» أي تكسر. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يخلق الإدراك في الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك؛ إذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلاً لما أمكن أن يستر عنهم البعض وقد أدركوا البعض، والسبب الموجب مشترك، فعلى هذا يجوز أن يخلق الإدراك مع اجتماعها، فلا ربط إذا بين الرؤية ونفيها في مقدرة الله تعالى، وهي رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى، بناء على اعتبار هذه الأسباب في حصول الإدراك عقلاً، وأنها تستلزم الجسمية؛ إذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب إنما تتأني في جسم، فهذه الآية حسبهم في إبطال زعمهم، ولكنهم يبرون عليها. وهم عنها معرضون، والله الموفق.

في خطب أمير المؤمنين - عليه السلام - في أيام صفين وفي مشاهدته مع البغاة والخوارج - من البلاغة، والبيان، ولطائف المعاني / ٢٧٩، وبلغات المواعظ، والنصائح - دليلاً على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل، وإن تفاقم الأمر، ﴿وَلَا تَتَزَعَوْا﴾: قرئ بتشديد النون، ﴿فَنَقْشَلُوا﴾: منصوب بإضمار «أن»؛ أو مجزوم لدخوله في حكم النهي، وتدل على التقديرين قراءة من قرأ، ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكَ﴾: بالتاء والنصب، وقراءة من قرأ: ويذهب ريحك، بالياء والعزم، والريح: الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان، إذا دالت له الدولة ونفذ أمره؛ ومنه قوله [من البسيط]:

يَا صَاحِبِي أَلَا لَاحِي بِالْوَادِي إِلا عَيْدٌ قُمُودٌ بَيْنَ أَدْوَادٍ
أَنْظِرَانِ قَلِيلاً زَيْتٌ غَفْلَتِيهِمْ أَمْ تَعْدُونَ قَلْبَانَ الرِّيحِ لِلْعَادِي؟^(١)
وقيل: لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله - تعالى - وفي الحديث: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالذبور» (٦٤٦).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيقًا وَرَأْسُ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ

يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧﴾

حذرهم - بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي - نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله - ﷺ - من فشلهم وذهاب ريحهم، ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: هم أهل مكة،

٦٤٦ - أخرجه البخاري (٦٠٤/٢): كتاب الاستسقاء: باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا»، حديث (١٠٣٥)، وأطرافه في (٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم (٢٨٧/٣ - الأبي) كتاب صلاة الاستسقاء: باب في ريح الصبا والذبور، حديث (٩٠٠/١٧). قال الحافظ: متفق عليه من طريق مجاهد عن ابن عباس. انتهى.

(١) لسليك بن سلكة، مر مع صاحبيه بجوف مراد واد باليمن فوجدوا إبلاً قد ملأته، فقال لهما: أنتظراني هنا حتى آتي الرعاء فأعلم خبر الحي أقرب أم بعيد، فلم يزل يلاطفهم حتى أخبروه بمكان الحي، فإذا هم بعيد، فقال لهم: ألا أغنيكم؟ قالوا: بلى، فتغنى بأعلى صوته بالبيتين، فاتاه صاحبه فاستاقوا الإبل، وأم بالمد. قيل: جمع إماء جمع أمة. وقيل: هو أيضاً جمع أمة، فأصله أُمور كأذرع جمع ذراع. وعلى الثاني أُمور أيضاً، كآكم جمع أكمة، لأن أمة أصله أُمورة فأبدلت الهمزة الثانية في الجمع ألفاً وقلبت الواو ياء لتطرفها. والهمزة كسرة لمناسبتها، ثم أعلل إعلال قاض. وروي بدله «قعود» والذود من الإبل: من ثلاثة إلى عشرة. وأنتظران، من أنتظرته إذا أخرته. والريث: التأخر والتواني، وهو نصب على البدلية من قليلاً. أو على الظرفية. ويجوز قراءة أنتظران، من نظره إذا انتظره. فريث. يجوز أنه مفعول به. و«تعدوان» من العدو، وهو السرعة السير، أو من العدوان، وهو تعدي الحد. واستعار الريح للدولة والأمر النافذ بجامع النفوذ من كل. و«تعدوان» و«للغادي» بالغين المعجمة: أي أم تسرعان إلي، فإن الظفر للمسرع. وفيه دلالة على أن السرعة أرجح من التأخر.

حين خرجوا لحماية العير، فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة: أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل، وقال: حتى نقدم بدماً نشرب بها الخمر، وتعزف علينا القيان^(١)، ونطعم بها من حضرنا من العرب؛ فذلك بطرهم ورتاؤهم الناس بإطعامهم، فوافوها، فسقوا كؤوس المنيا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طريين مرثيين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى^(٢)، والكأبة، والحزن من خشية الله - عز وجل - مخلصين أعمالهم لله.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿و﴾: اذكر، ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾: التي عملوها في معادة رسول الله - ﷺ - ووسوس إليهم أنهم لا يغلِبون ولا يطاقون، وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم، فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم، أي: بطل كيد حيه حين نزلت جنود الله؛ وكذا عن الحسن - رحمه الله -: كان ذلك على سبيل الوسوسة، ولم يتمثل لهم، وقيل: لما اجتمعت قريش على السير، ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب، فكان ذلك يشبههم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني - وكان من أشرفهم - في جند من الشياطين معه راية، وقال: لا غالب لكم اليوم، وإني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكة تنزل، نكص وقيل: كانت يده في يد الحارث بن هشام، فلما نكص قال له الحارث: إلى أين؟ أتخذلنا في هذه الحال؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث وانطلق، وانهمزوا، فلما بلغوا مكة، قالوا: هزم الناس سراقه، فبلغ ذلك سراقه، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان، وفي الحديث: وما رؤي إبليس / ٢٧٩ ب يوماً أصغر، ولا أدر^(٣)، ولا أغيط، من يوم عرفة، لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤي يوم بدر (٦٤٧).

٦٤٧ - أخرجه مالك في «الموطأ»: (٤٢٢/١) كتاب الحج: باب جامع الحج، حديث (٢٤٥) مرسلًا، =

(١) قوله: «وتعزف علينا القيان» تلعب بالملاهي وتغني والقينة الأمة مغنية أو غير مغنية والجمع القيان والقين الحداد والجمع القيون وكل عبد هو عند العرب قين وقان الشيء يقينه قيناً إذا أصلحه وزينه أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «وأن يكونوا من أهل التقوى» لعله: وأن لا يكونوا. أو لعله بأن يكونوا (ع).

(٣) قوله: «ولا أدر» الدور: الطرد والإبعاد، اهـ صحاح (ع).

فإن قلت: هلا قيل: لا غالباً لكم كما يقال: لا ضارباً زيداً عندنا؟

قلت: لو كان (لكم): مفعولاً لغالب؛ بمعنى: لا غالباً إياكم، لكان الأمر كما قلت؛ لكنه خير تقديره: لا غالب كائن لكم.

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٩)

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾: بالمدينة، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: يجوز أن يكون من صفة المنافقين، وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام، وعن الحسن: هم المشركون، ﴿غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾: يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف، ثم قال جواباً لهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمَلِكَةَ يَصْرِيحُ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾: ولو عاينت وشاهدت؛ لأن «لو» ترد المضارع إلى معنى الماضي؛ كما ترد «إن» الماضي إلى معنى الاستقبال، و﴿إِذْ﴾: نصب على الظرف، وقرئ: «يتوقى»، بالياء والتاء، و﴿أَلْمَلِكَةَ﴾: رفعها بالفعل، و﴿يَصْرِيحُ﴾: حال منهم، ويجوز أن يكون في: (يتوقى): ضمير الله - عز وجل - و﴿أَلْمَلِكَةَ﴾: مرفوعة بالابتداء، و﴿يَصْرِيحُ﴾: خبر، وعن مجاهد: وأدبارهم: أستاذهم، ولكن الله كريم يكتفى، وإنما خصوصهما بالضرب؛ لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد، وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر، ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانه

= وعبد الرزاق في مصنفه (٣٧٨/٤) رقم (٨١٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦١/٣) رقم (٤٠٦٩)، والطبري في تفسيره (٢٦٥/٦)، رقم (١٦٢٠٤)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣٢/٢) رقم (٥١٠) إلى الثعلبي في تفسيره.

قال الحافظ: أخرجه مالك في الموطأ من رواية طلحة بن عبيد الله بن كريب مرسلأ، ومن طريق مالك أخرجه عبد الرزاق والطبري، والبيهقي في الشعب، وانفرد أبو النضر بن إسماعيل بن إبراهيم العجلي عن مالك. فقال عن طلحة عن أبيه قال ابن عبد البر: الصواب مرسل. (تنبيه) هو طلحة ابن بكير، وكريب مصغر، ووقع في المناسك للنووي طلحة بن عبد الله أحد العشرة، وهو وهم بين. انتهى.

وله مقبض، فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه، وقيل: يضربون ما أقبل منهم وما أدبر، ﴿وَذُوقُوا﴾: معطوف على (يضربون) على إرادة القول، أي: ويقولون: ذوقوا، ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: مقدمة عذاب النار، أو: وذوقوا عذاب الآخرة، بشارة لهم به، وقيل: كانت معهم مقامع من حديد، كلما ضربوا بها، التهبت النار، أو: ويقال لهم يوم القيامة: ذوقوا، وجواب (لو): محذوف، أي: لرأيت أمراً فظيماً منكراً ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾: يحتمل أن يكون من كلام الله، ومن كلام الملائكة، و(ذلك): رفع بالابتداء، و(بما قدمت): خبره، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: عطف عليه، أي: ذلك العذاب بسبب: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله: ﴿لَيْسَ يَطَّلِعُ عَلَى الْغَيْبِ﴾؛ لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين، وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد^(١)، أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق، لكان المعذب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاقمه.

﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِكُمْ مَغْرِبًا نَعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُوبُهُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَالِمٍ ﴿٥٤﴾﴾

الكاف في محل الرفع، أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم: عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه، أي: داوموا عليه وواظبوا، / ١٢٨٠ و﴿كَفَرُوا﴾: تفسير لدأب آل فرعون، و﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما حل بهم، يعني: ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم، ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا﴾: بهم من الحال. فإن قلت: فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم؟ ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة.

قلت: كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة، تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه، وعادوه، وتحزبوا عليه، ساعين في إراقة دمه، غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت، فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقول مكذبو الرسل، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلون، ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: تكرير للتأكيد، وفي

(١) قال محمود: «وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد... إلخ» قال أحمد: وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، فلم عدل عن الأبلغ. والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدب بالمبالغة، فهذان الجوابان عتيدان في هذا السؤال.

قوله: ﴿بآيات ربهم﴾: زيادة؛ دلالة على كفران النعم، وجحود الحق، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب، ﴿وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: وكلهم من غرقى القبط، وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْصُتُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يُنْقِطُونَ ﴿٥٦﴾ فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أصروا على الكفر ولجوا فيه، فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة، عاهدهم رسول الله - ﷺ - ألا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم، ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾: بدل من الذين كفروا، أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب؛ لأن شر الناس: الكفار، وشر الكفار: المصرون منهم، وشر المصرين: الناكثون للعهود، ﴿وَهُمْ لَا يُنْقِطُونَ﴾: لا يخافون عاقبة الغدر، ولا يبالون ما فيه من العار والنار، ﴿فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾: فيما تصادفهم وتظفرون بهم، ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾: ففرق عن محاربتك، ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكايه فيهم، من وراءهم من الكفرة، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد؛ اعتباراً بهم واتعاطاً بحالهم، وقرأ ابن مسعود - رضي الله عنه -: «فشرذ»، بالذال المعجمة، بمعنى: ففرق، وكأنه مقلوب «شذر» من قولهم: «ذهبوا شذر مذر^(١)»، ومنه: الشذر: المتلقط من المعدن لتفرقه، وقرأ أبو حيوه: من خلفهم، ومعناه: فافعل التشريد من ورائهم؛ لأنه إذا شرد الذين وراءهم، فقد فعل التشريد في الورا وأوقعه فيه؛ لأن الورا جهة المشردين، فإذا جعل الورا ظرفاً للتشريد، فقد دل على تشريد من فيه، فلم يبق فرق بين القراءتين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: لعل المشردين من ورائهم يتعظون.

﴿وَأَيُّهَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَأُيِّدْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَائِزِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَأَيُّهَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ﴾: معاهدين، ﴿خِيَانَةٌ﴾: ونكثاً بأمارات تلوح لك، ﴿فَأُيِّدْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطرح إليهم العهد، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: على طريق مستو قصد؛ وذلك أن تظهر لهم نبد العهد، وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بيناً أنك قطعت ما بينك وبينهم، ولا تتاجزهم الحرب

(١) قوله: «وكانه مقلوب شذر، من قولهم ذهبوا شذر مذر» بفتحات، أي في كل وجهة. اهـ صحاح (ع).

وهم على توهم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة منك، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفٰئِزِينَ﴾: فلا يكن منك إخفاء نكث العهد، والخداع، وقيل: على استواء في العلم بنقض العهد، وقيل: على استواء في العداوة، والجار والمجرور في موضع الحال؛ كأنه قيل: فانبذ إليهم ثابتاً على طريق قصد سوي، أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة، على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معاً.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (٥٩)

﴿سَبَقُوا﴾: أفلتوا وفاتوا من أن يظفر بهم، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم، وقرىء: «أنهم»، بالفتح، بمعنى: لأنهم، كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح، وقرىء: «يعجزون»، بالتشديد، وقرأ ابن محيصن: «يعجزون»، بكسر النون، وقرأ الأعمش: «ولا تحسب الذين كفروا»، بكسر الباء وبفتحها، على حذف النون الخفيفة، وقرأ حمزة: «ولا يحسبن» بالياء على أن الفعل للذين كفروا، وقيل فيه: أصله أن سبقوا، فحذفت «أن»؛ كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْآرَاقِ﴾ [الروم: ٢٤] واستدل عليه بقراءة ابن مسعود - رضي الله عنه - : أنهم سبقوا، وقيل: وقع الفعل على أنهم لا يعجزون، على أن «لا»: صلة، وسبقوا في محل الحال، بمعنى: سابقين، أي: مفتلين هاربين، وقيل: معناه: ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا، فحذف الضمير؛ لكونه مفهوماً، وقيل: «ولا يحسبن» قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا، وهذه الأقاويل كلها متمحلة، وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة^(١)، وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَقْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا يَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تظَلْمُونَ﴾ (٦٠)

(١) قال السمين الحلبي: - وقد رد عليه جماعة هذا القول، وقالوا: «لم ينفرد بها حمزة، بل وافقه عليها من قراء السبعة ابن عامر أسن القراء وأعلامهم إسناداً، وعاصم في رواية حفص، ثم هي قراءة أبي جعفر المدني شيخ نافع، وأبي عبد الرحمن السلماني، وابن محيصن، وعيسى، والأعمش، والحسن البصري، وأبي رجا، وطلحة، وابن أبي ليلي». وقد رد الشيخ عليه أيضاً أن «لا يَحْسَبَنَّ» واقع على «أنهم لا يُعْجِزُونَ» وتكون «لا» صلة، بأنه لا يتأتى على قراءة حمزة، فإن حمزة يقرأ بكسر الهمزة. يعني: فكيف تليتم قراءة حمزة على هذا التخريج؟ قلت: هو لم يلتزم التخريج على قراءة حمزة في الموضوعين، أعني: «لا يَحْسَبَنَّ» وقوله: «إنهم لا يُعْجِزُونَ»، حتى تلزمه ما ذكر. انتهى. الدر المصون.

﴿تَنْ قُوَّةٍ﴾: من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها، وعن عقبه بن عامر^(١): سمعت رسول الله - ﷺ - يقول على المنبر: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرُّمِيَّ» ح قالها ثلاثاً (٦٤٨)، ومات عقبه عن سبعين قوساً في سبيل الله، وعن عكرمة: هي الحصون، والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفضيل وفصال، وقرأ الحسن: «ومن رُبط الخيل»، بضم الباء وسكونها جمع رباط، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به؛ كقوله: ﴿وَجَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وعن ابن سيرين - رحمه الله - أنه سئل عن أوصى بثلاث ماله في الحصون؟ فقال: يشتري به الخيل، فترابط في سبيل الله ويفزي عليها، فقيل: له إنما أوصى في الحصون؛ فقال: ألم تسمع قول الشاعر [من الكامل]:

..... أِنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدَرَ الْقُرَى^(٢)

٦٤٨ - أخرجه مسلم (١٥٢٢/٣) كتاب الإمارة: باب فضل الرمي والحث عليه حديث (١٦٧/ ١٩١٧)، وأبو داود (١٧/٢) كتاب الجهاد: باب في الرمي حديث (٢٥١٤) وابن ماجه (٩٤٠/٢) كتاب الجهاد: «باب الرمي في سبيل الله» حديث (٢٨١٣)، وأحمد (١٥٧/٤)، وأبو يعلى (٢٨٣/٣) رقم (١٧٤٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤/٤) رقم (٤٢٩٩)؛ كلهم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي عن عقبه بن عامر به. وأخرجه الدارمي (٢٠٤/٢) كتاب الجهاد: باب في فضل الرمي والأمر به، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤/٤) رقم (٤٢٩٨)؛ كلاهما من طريق سعيد بن أبي أيوب ثنا يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبه به. وأخرجه الترمذي (٢٧٠/٥ - ٢٧١) كتاب التفسير: باب ومن سورة الأنفال حديث (٣٠٨٣) من طريق صالح بن كيسان عن رجل لم يُسمه عن عقبه بن عامر. والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢٧/٣)، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم القراب في كتاب «فضل الرمي». قال الحافظ: أخرجه مسلم أتم منه. انتهى.

(١) قال محمود: «القوة الرمي، روى عقبه بن عامر أنها الرمي... إلخ» قال أحمد: والمطابق للرمي أن يكون الرباط على بابه مصدرأ، والله أعلم، وهو حسي ونعم الوكيل.

(٢) ولقد علمت على تجنبي الردى أن الحصون الخيل لا مدر القرى لأشعر الجعفي، يقول: ولقد تيقنت مع أني متجنب للردى أن الحصون المانعة منه هي الخيل وآلات الحرب لا البناء، كالفلاح التي في القرى. وأتى بقوله: «على تجنبي الردى» لدفع توهم أنه رجل يلقي بنفسه إلى التهلكة فلذلك يحب الحرب، فهو من باب الاحتراس. ويروي: على توفي الردى - بتشديد الياء - أي: مع أني أتوقى الهلاك. قال رجل لعبيد الله بن الحسن: إن أبي أوصى بثلاث ماله للحصون. قال: اذهب فاشتر به خيلاً. قال: إنما ذكر الحصون. فقال: أما سمعت قول الأشعر. فأنشد البيت.

﴿تَرْهَبُونَ﴾: قرىء بالتخفيف والتشديد، وقرأ ابن عباس ومجاهد - رضي الله عنهما - : «تخزون» والضمير في: (به): راجع إلى ما استطعتم، ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: هم أهل مكة، ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾: هم اليهود، وقيل: المنافقون، وعن السدي: هم أهل فارس / ٢٨١، وقيل: كفره الجن، وجاء في الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقْرَبُ صَاحِبَ فَرَسٍ وَلَا دَارًا فِيهَا فَرَسٌ عَتِيقٌ» (٦٤٩)، وروي أن سهيل الخيل يرهب الجن.

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

جنع له وإليه: إذا مال، والسلم تؤنث تأتي نقيضها وهي الحرب، قال: [البسيط] السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ^(١) وقرىء: بفتح السين وكسرهما، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] وعن مجاهد بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، والصحيح: أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً، أو يجابوا إلى الهدنة أبداً، وقرأ الأشهب العقيلي: «فَأَجْنَحْ» بضم النون، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم؛ فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم، قال مجاهد: يريد قريظة.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾

٦٤٩ - أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٧/١٨٩) رقم (٥٠٦)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/٣٠٢) رقم (٣٧٨٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٣٤) إلى ابن عدي في الكامل، وإلى الواحدي في أسباب النزول، وإلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ: لم أجده هكذا، وروى ابن سعد والطبراني وابن عدي من رواية سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده. رفعه في قوله عز وجل: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِم - الآية﴾ قال: هم الجن، ولن يختل الشيطان إنساناً في داره فرس عتيق، وأعله ابن عدي بسعيد بن سنان، وضعفه عن أبي معين، وغيره، وله شاهد من رواية الوضين بن عطاء عن سليمان بن موسى مرسلًا، ولا ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو الشيطان، لا يقرب ناصية فرس، وإسناده واه. وقوله: «روي أن سهيل الخيل يطرد الجن» لم أجده. انتهى.

= لعبد الرحمن بن حسان في خزانة الأدب ٤/٤٧١، والدرر ٤/٦٠، والكتاب ٣/١٥٣، ولسعيد بن عبد الرحمن بن حسان في شرح أبيات سيبويه ٢/١٦٨، ولبعض المحدثين في العقد الفريد ٣/٢٠، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ٤١٨، وجمع الهوامع ٢/٣. (١) مر شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ٢٠٨ من سورة البقرة فراجع إن شئت اهـ.

بَيْتَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ
إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾

﴿قَاتَ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ فإن محسبك الله؛ قال جرير [من الكامل]:

إِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبَكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشَبَعُوا^(١)
﴿وَأَلْفَ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ﴾: التآليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله - ﷺ - من الآيات
الباهرة؛ لأن العرب - لما فيهم من الحمية والعصية، والانطواء على الضغينة في أدنى
شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا - لا يكاد يأتلف منهم قلبان، ثم اثتلقت قلوبهم
على اتباع رسول الله - ﷺ - واتحدوا، وأنشؤوا يرمون عن قوس واحدة؛ وذلك لما نظم
الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم، وأحدث بينهم من التحاب والتواد، وأماط عنهم من
التباغض والتماقت، وكلفهم من الحب في الله، والبغض في الله، ولا يقدر على ذلك إلا
من يملك القلوب، فهو يقلبها كما شاء، ويصنع فيها ما أراد، وقيل: هم الأوس
والخزرج، كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك ساداتهم، ورؤساءهم، ودق
جماجمهم، ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى، وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم
التحاسد والتنافس، وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما أثرته أختها
وتكرهه وتنفر عنه، فأنساهم الله - تعالى - ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة، وتصافوا،
وصاروا أنصاراً، وعادوا أعواناً، وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبلغ قدرته.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبِكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿وَمَنْ أَتْبَعَكَ﴾: الواو بمعنى: مع وما بعده منصوب، تقول: حسبك وزيداً درهم، ولا
تجز؛ لأن عطف الظاهر المجزور على المكنى ممتنع؛ قال: [الطويل]
فَحَسْبُكَ وَالضُّحَاكُ سَيْفٌ مُهَيِّدٌ^(٢)

(١) إني وجدت من المكارم حسبكم فإذا تذكرت المكارم مرة أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا في مجلس أنتم به فتقنعوا

لجرير، أي: إني وجدت كافيكم من المكارم لبس الخبز من الثياب والشيع من الطعام والشراب، وجعلهما من المكارم تهكماً بهم. أو على زعمهم، أو المعنى: مغنيكم عنها هاتان الخصلتان، فمن للبدل، أو المعنى: إن كان ذلك من المكارم فهو كافيكم لمبالغتكم فيه. ويروى: حر الثياب، بمهلتين، أي جيدها. وتذكرت: مبني للمجهول، أي: فإذا تذاكر الناس بالمكارم ولو مرة واحدة فغظوا وجوهكم حياء كالنساء فليست من المكارم في شيء.

(٢) إذا كانت الهيجاء واشتقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

يقول: إذا وجدت الحرب وافترقت العصبة ووقع الخلاف وظهر الشريك فيك مع الضحاك سيف مطبق من حديد الهند، فانشقاق العصا تمثيل لتوقع الخلاف وظهور الشر. وحسب: اسم فعل =

والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرًا^(١) أو يكون في محل الرفع، أي: كفاك الله وكفاك المؤمنون، وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: نزلت في إسلام عمر - رضي الله عنه - وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبي - ﷺ - ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة/ ٢٨١ ب ثم أسلم عمر؛ فنزلت.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ أَلْفًا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾﴾

التحريض: المبالغة في الحث على الأمر من الحرص، وهو أن ينهكه المرض، ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت، أو أن تسميه حرصاً؛ وتقول له: ما أراك إلا حرصاً في هذا الأمر وممرضاً فيه، ليهيجه ويحرك منه، ويقال: حركه، وحرصه، وحرصه، وحرصه، وحره، بمعنى، وقرئ: «حرص»، بالصاد غير المعجمة، حكاها الأخفش، من الحرص، وهذه عدة من الله، وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا، غلبوا عشرة

= بمعنى يكفي. والكاف مفعوله. والضحاك مفعول معه. وسيف فاعله. والجمهور على أنه صفة مشبهة بمعنى كافي مبتدأ، والكاف مضاف إليه. وسيف خبره. والضحاك مفعول لمحذوف، أي يكفي لأن الصفة المشبهة لا تنصب المفعول معه. وروي الضحاك بالجر، أي: وحسب الضحاك، وبالرفع على إنابته مناب «حسب» المحذوف. والواو للمعية على الأول، وللعطف على غيره وروى: غضب مهتد. والغضب: السيف القاطع.

ينظر: ذيل الأمالي (١٤٠)، خزانة الأدب ٥٨١/٧، سمط اللاكبي (٨٩٩)، شرح الأشموني ١/ ٢٢٤، شرح شواهد الإيضاح ٣٧٤، شرح شواهد المغني ٩٠٠/٢، شرح المفصل ٥١/٢، لسان العرب (هيج)، (عصا)، مغني اللبيب ٥٦٣/٢، المقاصد التحوية ٨٤/٣، القرطبي ٢٨٥/١، الدر المصون ٢٣٧/١. فتح القدير ٥٠٢/١.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا مخالف كلام سيويه؛ فإن قال: «حَسْبُكَ وَزَيْدًا ذَهْمًا، لما كان فيه معنى: كفاك، وقبح أن يحملوه على المضمر دون الفعل، كأنه قال: حَسْبُكَ وَحَسْبُكَ أَخَاكَ ذَهْمًا». ثم قال: وفي ذلك الفعل المضمر ضمير يعود على «الدرهم»، والنية بـ «الدرهم» التقديم، فيكون من عطف الجمل. ولا يجوز أن يكون من باب الإعمال، لأن طلب المبتدأ للخبر وعمله فيه ليس من قبيل طلب الفعل، أو ما جرى مجراه، ولا عمله، فلا يتوهم ذلك فيه». قلت: وقد سبق الزمخشري إلى كونه مفعولاً معه الزجاج، إلا أنه جعل «حسب» اسم فعل، فإنه قال: «حسب: اسم فعل، والكاف نصب، والواو بمعنى مع». وعلى هذا يكون «اللَّهُ» فاعلاً، وعلى هذا التقدير يجوز في «وَمَنْ» أن يكون معطوفاً على الكاف، لأنها مفعول باسم الفعل، لا مجرور، لأن اسم الفعل لا يضاف. انتهى. الدر المصون.

أمثالهم من الكفار بعون الله - تعالى - وتأبيده، ثم قال: ﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوهُ﴾ أي: بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم، فيقل ثباتهم، ويعدمون؛ لجهلهم بالله نصرته، ويستحقون خذلانه، خلاف من يقاتل على بصيرة، ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله تعالى، وعن ابن جريج: كان عليهم ألا يفروا، ويثبت الواحد منهم للعشرة، وكان رسول الله - ﷺ - بعث حمزة - رضي الله عنه - في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب، قيل: بم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه؛ وذلك بعد مدة طويلة، فمسح وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثني، وقيل: كان فيهم قلة في الابتداء، ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف، وقرئ: «ضعفاً»، بالفتح والضم، كالمكث والمكث، والفقر والفقر، «وضعفاً»: جمع ضعيف، وقرئ: الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء في الموضعين، والمراد بالضعف: الضعف في البدن، وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدين، وكانوا متفاوتين في ذلك.

فإن قلت: لِمَ كرّر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده؟

قلت: للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت؛ لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف؛ وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين.

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يُشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

وقرئ: «للنبي»، على التعريف، «وأسارى»، «ويشخن»، بالتشديد، ومعنى الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه، من قولهم: أشخته الجراحات: إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة، وأثخنه المرض: إذا أثقله من الشخانة التي هي الغلظ والكثافة، يعني: حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر، ثم الأسر بعد ذلك، ومعنى: ﴿وَمَا كَانَتْ﴾: ما صح له وما استقام، وكان هذا يوم بدر، فلما كثر المسلمون نزل: ﴿فَأَمَّا مَا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾ [محمد: ٤]، وروي أن رسول الله - ﷺ - أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه، وعقيل بن أبي طالب، فاستشار أبا بكر - رضي الله عنه - فيهم فقال: قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك، وقال عمر - رضي الله عنه -: كذبوك وأخرجوك / ٢٨٢ فأفقدتهم واضرب أعناقهم؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله أغناك عن الفداء: مكن علياً من عقيل، وحمزة

من العباس، ومكني من فلان لنسيب له، فلنضرب أعناقهم، فقال - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ لِيَلِيَنَّ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، وَمِثْلَكَ يَا عُمَرُ مِثْلَ نُوحٍ، قَالَ: «رَبِّي لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَبَّارًا»، ثم قال لأصحابه: «أَنْتُمْ الْيَوْمَ عَالَةٌ فَلَا يَفْلِتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبِ عُقْبِي». وروى أنه قال لهم: «إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ، وَأَسْتَشْهِدُ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ» فقالوا: بل نأخذ الفداء، فاستشهدوا بأحد، وكان فداء الأساري عشرين أوقية، وفداء العباس أربعين أوقية (٦٥٠)، وعن محمد بن سيرين: كان فداؤهم مائة أوقية، والأوقية: أربعون درهماً وستة دنانير (٦٥١)، وروى أنهم لما أخذوا الفداء، نزلت الآية، فدخل عمر على رسول الله -

٦٥٠ - أخرجه مسلم (٣٢٧/٦ - ٣٢٨ - النووي) كتاب الجهاد والسير: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، حديث (١٧٦٣ / ٥٨)، وأخرجه أبو داود (٦١ / ٣): كتاب الجهاد: باب في فداء الأسير بالمال، حديث (٢٦٩٠) والترمذي (٢٦٩ / ٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨١) من حديث عمر بنحوه.

وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٧/٦ - ٢٨٨) رقم (١٦٣٠٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/٣٦٦ - ٣٦٧) عن عبد الله بن عباس عن عمر به.

وأخرجه أحمد في مسنده (٣٨٣/١ - ٣٨٤)، والطبري في تفسيره (٢٨٧/٦) رقم (١٦٣٠٧) من طريق عبد الله بن مسعود عن عمر به.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٦/٢) رقم (٥١٣) إلى ابن مردويه في تفسيره إلى الواحدي في أسباب النزول.

قال الحافظ: قوله: «وروي أنه قال لهم: إن شئتم قتلتم وإن شئتم فاديتهم، واستشهد منكم بعدتهم: فقالوا: بلى. فأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد» أخرجه الطبري من طريق أشعث بن سواد عن محمد بن سيرين عن عبيدة هو ابن عمرو قال: «أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين، فقال رسول الله ﷺ اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء. ففتحوا به على عدوكم، ويقتل منكم سبعين، أو تقتلهم، فقالوا: بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون، قال: فأخذوا منهم الفدية، وقتل سبعون، ورواه ابن مردويه موصولاً من طريق ابن عون. عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي، وزاد فيه: قال: «وكان آخر السبعين ثابت بن قيس بن شماس»، وروى الواقدى في المغازي من طريق يحيى بن أبي كثير. عن علي. قال: «أتى جبريل النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى. أن يضرب أعناقهم. أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد منكم من قابل عدتهم. الحديث مع ضعفه وهو منقطع. انتهى.

٦٥١ - أخرجه الطبري من طريق عبيدة بن عمر قال: كان فداء أسارى بدر مئة أوقية، و«الأوقية» أربعون درهماً، ومن الدنانير ستة دنانير (٢٨٩/٦) رقم (١٦٣١٨).

قال الحافظ: قوله: «وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً وستة دنانير». أما كون الفداء كان عشرين أوقية. فروى الطبري من طريق عبيدة بن عمر قال: «كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والأوقية أربعون درهماً، ومن الدنانير ستة دنانير. وأما فداء =

ﷺ - فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال: يا رسول الله، أخبرني، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت، فقال: «أُنْبِكِي عَلَيَّ أَصْحَابِكَ فِي أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، وَلَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - لَشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ» (٦٥٢) وروى أنه قال: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عَمْرٍ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لِقَوْلِهِ: كَانَ الْإِثْحَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ» (٦٥٣). ﴿عَرَضَ الذَّنْبُ﴾: حطامها؛ سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث، يريد: الفداء، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ يعني: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل، وقرئ: «يريدون»، بالياء، وقرأ بعضهم: «والله يريد الآخرة»، بجزر الآخرة على حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه على حاله؛ كقوله [من المتقارب]:

أَكُلُّ أَمْرِيءَ تَخَسِبِينَ أَمْرًا وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا^(١)

= العباس - رضي الله عنه - فروى ابن مردويه من طريق علي وابن عباس، قال: كان العباس يوم بدر أسيراً فاقتدى نفسه بأربعين أوقية ذهب، وروى ابن مردويه. من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما كان يوم بدر أسر سبعون فجعل عليهم رسول الله ﷺ أربعين أوقية ذهباً، وجعل على عمه العباس مائة أوقية؛ وعلى عقيل ثمانين، فقال: للقرابة صنعت هذا. الحديث. انتهى.

٦٥٢ - أخرجه أحمد (٣٠/١ - ٣١)، والطبري (٢٨٧/٦) رقم (١٦٣٠٧) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود.

وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه منقطع.

قال الحافظ: أخرجه أحمد والطبري. من رواية الأعمش عن عمر بن سمرة عن أبي عبيدة عن عبد الله فذكره مطولاً. انتهى.

٦٥٣ - أخرجه الطبري (٢٩١/٦) رقم (١٦٣٣٣ - ١٦٣٣٤) وعزاه الزيلعي إلى الثعلبي والبغوي في تفسيريهما؛ كما عزاه إلى الواقدي في كتابه المغازي (٣٩/٢) رقم (٥١٤).

قال الحافظ:

أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق قال: «لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدرًا إلا أحب الغنائم غير عمر بن الخطاب؛ فإنه جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، وقال سعد بن معاذ: يا رسول الله الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»، ورواه الواقدي في المغازي من وجه آخر منقطع بمعناه. وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر رفعه: «لو نزل العذاب. ما أفلت منه إلا ابن الخطاب». انتهى.

(١) لأبي دؤاد. وقيل لحارثة بن حمران الإيادي، وهو من أبيات الكتاب. والهمزة للاستفهام الإنكاري، يخاطب امرأة، أو نفسه، أي: لا تحسبي أن كل رجل رجل كامل، ولا تحسبي أن كل نار تتوقد في الليل نار متوقدة لقرى الضيفان، يعني أن الرجل هو الكريم الشجاع، والنار هي نار القرى لا غير. وحذف المضاف مع بقاء المضاف إليه على حالة الإضافة مطرد، إذا عطف على مثله ليدل عليه كما =

ومعناه: والله يريد عرض الآخرة، على التقابل، يعني: ثوابها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: يغلب أوليائه على أعدائه، ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً ويطلق لهم الفداء، ولكنه: ﴿حَكِيمٌ﴾، يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون، ﴿ثَوَلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾: لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح، وهو أنه لا يعاقب أحد بخطأ، وكان هذا خطأ في الاجتهاد؛ لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سبباً في إسلامهم وتوبتهم، وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله، وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام، وأهيب لمن وراءهم، وأفل لشوكتهم، وقيل: كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها، وقيل: إن أهل بدر مغفور لهم، وقيل: إنه لا يعذب قوماً إلا بعد تأكيد الحجة، وتقديم النهي، ولم يتقدم نهى عن ذلك، ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ / ٢٨٢ب: روي أنهم أمسكوا عن الغنائم، ولم يمدوا أيديهم إليها؛ فنزلت، وقيل: هو إباحة للفداء؛ لأنه من جملة الغنائم، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه.

﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦٩)

فإن قلت: ما معنى الفاء؟

قلت: التسيب، والسبب محذوف، معناه: قد أبحت لكم الغنائم، فكلوا مما غنمتم، و«حلالاً»: نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر، أي: أكلاً حلالاً، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه، غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا
أَخَذَ مِنْكُمْ وَبَعَثَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧٠)

= هنا، وإلا فهو سماعي، بل مطرد عند الكوفيين ولو بغير عطف. ونار مجرور بضاف محذوف؛ ولا يصح عطفه على امرئ. وعطف المنصوب على المنصوب لئلا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين، وهما «كل» و«تحسين» وهو ممنوع عند سيويه ومن وافقه. لأبي دؤاد في ديوانه ص ٣٥٣، والأصمعيات ص ١٩١، وأمالي ابن الحاجب ١/١٣٤، ٢٩٧، وخزانة الأدب ٩/٥٩٢، ١٠/٤٨١، والدرر ٥/٣٩، وشرح التصريح ٢/٥٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٩٩، وشرح شواهد المغني ٢/٧٠٠، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٠٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/٢٦، والكتاب ١/٦٦، والمقاصد النحويّة ٣/٤٤٥، ولعدي بن زيد في ملحق ديوانه ص ١٩٩، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/٤٩، والإنصاف ٢/٤٧٣، وأوضح المسالك ٣/١٦٩، وخزانة الأدب ٤/٤١٧، ٧/١٨٠، ورفص المباني ص ٣٤٨، وشرح الأشموني ٢/٣٢٥، وشرح ابن عقيل ص ٣٩٩، وشرح المفصل ٣/٧٩، ٨/٥٢، ٩/١٠٥، والمحتسب ١/٢٨١، ومغني اللبيب ١/٢٩٠، والمقرب ١/٢٣٧، وجمع الهوامع ٢/٥٢.

﴿ فِي أَيْدِيكُمْ ﴾: في ملكتكم، كان أيديكم قابضة عليهم، وقرىء: «من الأسرى»، ﴿ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾: خلوص إيمان وصحة نية، ﴿ يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُنِذَ بِمَنْعِكُمْ ﴾: من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه، أو يشيكم في الآخرة، وفي قراءة الأعمش: «يشبكم خيراً»، وعن العباس - رضي الله عنه - أنه قال: كنت مسلماً، لكنهم استكروهوني، فقال رسول الله ﷺ -: «إِنْ يَكُنْ مَا تَذْكُرُهُ حَقًّا فَاللَّهُ يَجْزِيكَ» فأما ظاهر أمرك، فقد كان علينا (٦٥٤) وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك. وروي أن رسول الله ﷺ - قال للعباس: «أفد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، فقال: يا محمد، تركتني أتكفف قريباً ما بقيت، فقال له: «فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَى أُمِّ الْفَضْلِ وَقَتَّ خُرُوجَكَ مِنْ مَكَّةَ وَقُلْتَ لَهَا: لَا أَذْرِي مَا يُصِيبُنِي فِي وَجْهِ هَذَا، فَإِنْ حَدَّثَ بِي حَدَّثَ فَهُوَ لِكَ وَلِعَبْدِ اللَّهِ وَعَبِيدِ اللَّهِ وَالْفَضْلِ»، فقال العباس: وما يدريك؟ قال: «أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي» قال العباس: فأنا أشهد أنك صادق، وأن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل، ولقد كنت مرتاباً في أمرك، فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب، قال العباس - رضي الله عنه -: فأبدلني الله خيراً من ذلك، لي الآن عشرون عبداً، إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً، وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي (٦٥٥)، وروي أنه قدم على رسول الله ﷺ - مال البحرين ثمانون ألفاً، فتوضاً لصلاة الظهر، وما صلى حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ما قدر على حمله، وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة (٦٥٦)، وقرأ الحسن وشيبة: «مما أخذ منكم»، على البناء للفاعل.

٦٥٤ - ينظر الحديث القادم.

قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في المغازي، والحاكم من طريقه - حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة من فداء أسرهم، وبعثت زينب من فداء أبي العاص. قال العباس: يا رسول الله، إني كنت مسلماً. فذكره. انتهى.

٦٥٥ - أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٣/٣٢٤)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/١٤٢ - ١٤٣)، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص (٣٥٩)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٤٢) إلى ابن مردويه في تفسيره في سورة الفرقان. قال الحافظ: هو الذي قبله بتمامه بالإسناد المذكور. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريق إسحاق: حدثني بعض أصحابنا عن مقسم عن ابن عباس، بمعناه مطولاً. ورواه ابن مردويه من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس بمعناه، وفيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف، وقوله: «وكان العباس أحد الذين ضمنوا إطعام بدر، وخرج بالذهب لذلك» لم أجد هذا.

٦٥٦ - أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٣/٣٢٩ - ٣٣٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبري في تفسيره (٦/٢٩٢) رقم (١٦٣٣٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/٣٦٩)، وعزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/٤٢) إلى الثعلبي في تفسيره عن قتادة به.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾: نكث ما بايعوك عليه من الإسلام، والردة واستحباب دين آبائهم، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾: في كفرهم به، ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: كما رأيتم يوم بدر فسيتمكن منهم إن أعادوا الخيانة، وقيل: المراد بالخيانة: منع ما ضمنوا من الفداء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

الذين هاجروا، أي: فارقوا أوطانهم، وقومهم؛ حباً لله ورسوله / ٢٨٣: هم المهاجرون، والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم: هم الأنصار، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾ أي: يتولى بعضهم بعضاً في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القربات، حتى نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقرئ: «من ولايتهم»، بالفتح والكسر، أي: من توليهم في الميراث، ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة؛ كأنه بتولية صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملاً، ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾: فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين، ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: منهم، ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾: عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم؛ لأنهم لا يتدوون بالقتال، إذ الميثاق مانع من ذلك.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كَبِيرٌ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾: ظاهره إثبات الموالاة بينهم؛ كقوله تعالى في المسلمين: ﴿أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ومعناه: نهى المسلمين عن موالاة الذين كفروا، وموارثتهم، وإيجاب مباحثتهم ومصارمتهم، وإن كانوا أقارب، وأن يتركوا

قال الحافظ: أخرجه الطبري حدثنا بشر بن معاذ حدثنا يزيد. حدثنا سعد بن أبي عروبة. عن قتادة هكذا. وروى الحاكم في فضائل العباس من طريق سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال. عن أبي موسى: «أن العلاء بن الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بشانين ألفاً فأمر بها فنشرت على الحصار، ونودي بالصلاة... الحديث». انتهى.

يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث، تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار، ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك، كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً، وقرئ: «كثير» بالثاء.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا ءَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ءَأُولَئِكَ مِنكُمْ ءَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ ءَوْلَىٰ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه، بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن، ومفارقة الأهل، والانسلاخ من المال، لأجل الدين، وليس بتكرار؛ لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم، والشهادة لهم^(١)، مع الموعد الكريم، والأولى للأمر بالتواصل، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾: يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة؛ كقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، ألحقهم بهم، وجعلهم منهم؛ تفضلاً منه، وترغيباً، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: أولو القرابات أو أولى بالتوارث، وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: تعالى في حكمه وقسمته، وقيل: في اللوح، وقيل: في القرآن، وهو آية الموارث؛ وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة - رحمه الله - على توريث ذوي الأرحام.

عن رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَنْفَالِ وَبَرَاءَةَ فَأَنَا شَفِيعٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشَاهِدٌ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ النِّفَاقِ وَأَعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ مُتَافِقٍ وَمُتَافِقَةٍ، وَكَانَ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا» (٦٥٧).

٦٥٧ - أخرجه الواحدي في تفسيره (٤٤٣/٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤٣/٢) إلى الشعلبي،

وابن مردويه في تفسيريهما.

وانظر حديث (٣٤٦).

قال الحافظ: ذكرت أسانيده في تفسير آل عمران. انتهى.

(١) قوله: «والشهادة لهم» لعله: والشهادة لهم بالإيمان (ع).